كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

المفضل بن سلمة الكوفي
" حياته وآثاره واختياراته الصرفية "

إعداد

د/ عبدالله بن محمد بن جار الله النغيمشي

أستاذ النحو والصرف المشارك – جامعة القصيم – السعودية

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أفضل رسله وخاتم أنبيائه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فقد وقع اختياري على علم من أعلام اللغة العربية لأتحدث عن حياته وآثاره العلمية وأجمع ثم أدرس آراءه واختياراته الصرفية، وهذا العلم هو المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي، وقد دعتني لاختيار هذا الموضوع أمور، من أهمها:

١-أن فيه إتمامًا لبحث آخر تناولت فيه هذا العلم من خلال الحديث عن مكانته اللغوية وآرائه واختياراته النحوية.

٢-التعرف على شخصية المفضل بن سلمة، تلك الشخصية التي - على شهرتها وكثرة مصنفاتها _ لم تنل اهتمام الباحثين كما نالته شخصيات كوفية أخرى مثل الكسائي والفراء وثعلب وابن السكيت وغيرهم، لذا رأيت أن أقوم بهذه المهمة، فقمت بجمع كل ما يتعلق بحياته، وتحدثت عن آثاره العلمية الموجودة والمفقودة، وجمعت آراءه الصرفية من كتبه المطبوعة ومما نقله العلماء عن كتبه المفقودة.

٣-تقدم المفضل بن سلمة فهو من علماء القرن الثالث الهجري، وقد عاصر عددًا غير قليل من أئمة العربية المتقدمين عصرًا وعلمًا كالمبرد، وابن قتيبة، وابن كيسان، والزجاج وابن السراج، والأخفش الصغير، وغيرهم من بارزي ذلك العصر.

٤-خدمة طلاب العربية بالحديث عن علم من أعلامها البارزين، و جمع ما تفرق من آراء صرفية لهذا العلم وإلقاء الضوء إليها.

وقد تضمن هذا البحث الذي سميته:"المفضل بن سلمة الكوفي حياته وآثاره وآراؤه واختياراته الصرفية" بعد المقدمة أربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول وفيه تحدثت عن اسم المفضل وكنيته ونسبه، ومولده، ونشأته، وأسرته وبعض صفاته، وشيوخه، وتلامذته، ووفاته.

المبحث الثاني وفيه تحدثت عن آثاره مبينًا الموجود منها – وكل كتبه الموجودة مطبوعة– والمفقود الذي لم يصل إلينا.

المبحث الثالث وفيه تحدثت عن آرائه واختياراته في الصرف، وقد جمعت تلك الآراء من كتبه المطبوعة، ومما نقله بعض العلماء عنه.

المبحث الرابع وفيه تحدثت عن منهجه في الصرف مبينًا عنايته بالسماع والقياس والتعليل.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة ذكرت فيها خلاصة ما في البحث، وأتبعتها ذكر قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي أفدت منها.

المبحث الأول
ترجمة المفضل بن سلمة

اسمه وكنيته ونسبه:

لا خلاف في اسم المفضل، ولا في اسم أبيه وجده، فهو المفضل بن سلمة ابن عاصم، وكنيته أبو طالب[١]، وينسب أبو طالب أحيانًا إلى بغداد مكان ولادته ونشأته، فيقال: البغدادي[٢]، وينسب أحيانًا إلى المدرسة النحوية التي ينتمي إليها، فيقال: الكوفي[٣]، ولشهرة المفضل باللغة أصبح علمًا عليه بالغلبة مع اجتماعه مع كنيته، فيقال: أبو طالب اللغوي[٤]، ويقال أيضًا: المفضل بن سلمة النحوي[٥].

وبعض المصادر تجعل نسبه ينتهي إلى ضبة[٦]، فتقول في ختام اسمه: الضبي[٧]، وقد شكك في هذا الدكتورعبدالعليم الطحاوي، محقق كتاب الفاخر، والدكتور رمضان عبدالتواب محقق كتاب مختصر المذكر والمؤنث، وكلا الكتابين

---

(١) ينظر: الفهرست ١٠٩، وتاريخ بغداد ١٢٤/١٣، ونزهة الألباء ١٥٤، ومعجم الأدباء ٢٧٠٩/٦.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٣٠٩/٢١.

(٣) ينظر: بغية الوعاة ٢٩٦/٢.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ٣٠٥/٣، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٤.

(٥) ينظر: معجم الأدباء ٢٧٠٩/٦، وبغية الوعاة ٢٩٦/٢.

(٦) وهم جماعة، ففي مضر: ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن ربيعة بن معد بن عدنان، وفي قريش: ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك، وفي هذيل: ضبة عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. ينظر: الأنساب للسمعاني ١٠/٤.

(٧) ينظر: إنباه الرواة ١٧٧/١، ٣٠٥/٣، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة في ترجمة ابنه محمد ١٠٢/١، وسير أعلام النبلاء ٣٦١/١٤، والخزانة ٤٦٩/٧، وشذرات الذهب ٢٥٣/٢.

للمفضل، وانتهى بهما الأمر إلى إنكار أن يكون المفضل بن سلمة ضبيا، وأن الذي جعل بعض المترجمين له ينسبونه إلى ضبة هو وجود التشابه بين اسمه وبين شخصية كوفية مشهورة أيضًا هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، صاحب المفضليات، والمتوفى سنة ١٦٨هـ، والذي أراه أن ما ذكره المحققان يحمل جانبًا كبيرًا من الصحة، لوجود الأدلة الآتية:

١- أن أغلب المترجمين له لم يذكروا أنه ضبي، وهذا الدليل ذكره المحققان.

٢- أن جميع من ترجموا لوالده سلمة بن عاصم – حسب ما اطلعت عليه – لم يذكروا أنه ضبي، وهذا دليل قوي جدًّا، إذ لو كان ضبيًّا لنصوا على ذلك فلا معنى أن ينص على الولد دون الوالد.

٣- أن هذا اللبس وقع فيه الأصفهاني في الأغاني، فهو في أكثر من موضع[١] يروي بسنده عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمة الضبي، ونحن نعرف أن ابن الأعرابي من شيوخ المفضل بن سلمة ومتقدم عليه، وإنما الذي يروي عنه ابن الأعرابي هو المفضل بن محمد الضبي، ووقع فيه أيضًا ابن سيده في المخصص[٢] عندما قال: ((قال الأصمعي: سألني المفضل بن سلمة عن بيت الأعشى. . .))، ولايمكن أن يكون السائل هنا هو المفضل صاحبنا لأن الأصمعي توفي في مراحل طفولة المفضل، وإنما هو المفضل بن محمد، وهذا يدل دلالة أكيدة على أن الاشتباه بالمفضل صاحب المفضليات ليس ببعيد، وقد وقع فيه علماء كبار، وخوفًا من هذا خالف الإمام الذهبي شرطه في كتابه "معرفة القراء الكبار"، حيث قرر أنه لن يترجم للقراء المشهورين الذين لم يعرف شيوخهم في القراءة،

(١) ينظر على سبيل المثال: ١٣٣/٢، ١٨٩/٨.

(٢) ٢٨١/٢.

ولكنه ترجم للمفضل بن سلمة، ثم قال معللاً: ((قلتُ: ما ذا من شرط كتابنا، ولكن ذكرته للتمييز بينه وبين المفضل الضبي)).

وأشير هنا أيضًا إلى أن أبا القاسم الزجاجي في مختصر الزاهر[1]، وابن الخشاب – فيما نقله عنه ياقوت[2] – والمرزباني في معجم الشعراء[3]، ورضي الدين الحنبلي في سهم الألحاظ[4]، خلطوا بين المفضل وبين والده سلمة بن عاصم، فجعلوا المفضل هو صاحب الفراء، ولا شك أن هذا وهم منهم – رحمهم الله تعالى –.

مولده:

لم تذكر المصادر القديمة مكان مولد أبي طالب وإن كان المرجح أنها كانت في بغداد البلد الذي نشأ وترعرع فيه، يؤيد ذلك أن والده كان من الملازمين للفراء، والفراء توفي في بغداد سنة ٢٠٧هـ، وكان – أعني الفراء – أكثر مقامه في بغداد، فإذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يومًا[5]، كما أن كتب التراجم لم تذكر لأبي طالب تأريخ ميلاد لكن يمكن تقدير زمن مولده بالعقد الأول من القرن الثالث الهجري، وذلك لأنه لم يدرك الفراء، وإنما أدرك ابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١هـ، وأخذ عنه – كما سيأتي – وكذلك كان المفضل من تلامذة ثعلب، وثعلب ابتدأ بتدريس العربية سنة ٢٢٥هـ بحسب رواية المفضل بن سلمة نفسه، قال: رأس

(١) ينظر: مقدمة محقق الفاخر صفحة (س).
(٢) ينظر: معجم الأدباء ١٩٦٦/٥ في ترجمة أبي الحسن الفصيحي.
(٣) ص ٩٣.
(٤) ص ٣١.
(٥) ينظر: بغية الوعاة ٣٣٣/٢.

أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين[١].

نشأته وأسرته وبعض صفاته:

نشأ المفضل وترعرع على أرض بغداد، ولم تذكر المصادر أنه خرج منها للإقامة في غيرها، وقد نشأ على حب العلم وطلبه، حتى أصبح عالمًا بارزًا يتلألا نجمه بين العلماء، حتى وصفه بعض المترجمين له بالفهم الفاضل[٢]، والعلامة الأديب[٣]، والنحوي اللغوي[٤]، ومما وصفوه به أيضًا موهبة جمال الخط[٥]، وحسن التصنيف[٦]، ورووا له بعض الأشعار من ذلك مقطوعة يمدح بها أبا الحسن علي بن يحيى بن المنجم، ومقطوعات أخرى كاتب بها عبدالله بن المعتز[٧].

وكان منزله في الجهة الشرقية من بغداد، جهة باب خراسان[٨]، وكان في أول أول أمره منقطعًا إلى الفتح بن خاقان[٩]، أحد أشهر أمراء الخليفة المتوكل، وكان للفتح دار يجتمع فيها العلماء والأدباء، وتجري فيها المدارسة والمحاورة حول كثير من المسائل العلمية، وبعد مقتل الفتح بن خاقان مع المتوكل سنة ٢٤٧هـ اتصل بالوزير إسماعيل بن بلبل الشيباني وزير المعتمد، وهناك في مجلس الوزير جالس

(١) ينظر: إنباه الرواة ١/١٧٧.
(٢) ينظر: تاريخ بغداد ١٣/١٢٤.
(٣) ينظر: معجم الشعراء ١٩٦، وتاريخ الإسلام ٢١/٣٠٩.
(٤) ينظر: معجم الأدباء ٦/٢٧٠٩، وبغية الوعاة ٢/٢٩٦.
(٥) ينظر: الفهرست ١٠٩، وإنباه الرواة ٣/٣٠٦.
(٦) ينظر: وفيات الأعيان ٤/٢٠٦.
(٧) ينظر: إنباه الرواة ٣/٣٠٨.
(٨) ينظر: تاريخ بغداد ١٣/١٢٥، وإنباه الرواة ٣/٣٠٦.
(٩) ينظر: الفهرست ١٠٩، وبغية الوعاة ٢/٢٩٧.

عددًا من العلماء والشعراء وجرت بينهم بحوث علمية، ومحاورات، وأحيانًا مهاجاة[١].

أما أسرة أبي طالب فهي أسرة علم وفضل، قال عنها ابن خلكان: وهم أهل بيت كلهم علماء نبلاء مشاهير، رحمهم الله[٢]، فأبوه سلمة بن عاصم راوية الفراء وصاحبه، كان ثقة عالمًا حافظًا، تتلمذ على يديه عدد من المشهورين كثعلب وابن السكيت وغيرهما[٣]، وابنه محمد بن المفضل كان موصوفًا بفرط الذكاء، وهو أحد كبار فقهاء الشافعية، صنف العديد من الكتب، وتوفي شابًا سنة ٣٠٨هـ[٤].

شيوخه:

أخذ أبو طالب عن عدد من كبار العلماء في عصره، من أبرزهم:

١- ابن الأعرابي، محمد بن زياد، أبو عبدالله (٢٣١هـ)[٥]، كان عالمًا باللغة والشعر، كثير السماع من زوج أمه المفضل بن محمد الضبي، راوية للأشعار، حسن الحفظ لها[٦].

(١) ينظر: إنباه الرواة ٣٠٧/٣، ووفيات الأعيان ٢٠٦/٤.

(٢) وفيات الأعيان ٢٠٦/٤.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد ١٣٤/٩، وتاريخ الإسلام ١٧٤/١٧.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ٣٠٧/٣، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة شهبة ١٠٢/١.

(٥) تنظر ترجمته في: مراتب النحويين ١٤٩، وطبقات النحويين واللغويين ١٣٥، وتاريخ بغداد بغداد ٢٨٢/٥.

(٦) ينظر: الفهرست ١١٠، ونزهة الألباء ١٥٤ ومعجم الأدباء ٢٧٠٩/٦، ووفيات الأعيان ٢٠٦/٤، وسير أعلام النبلاء ٣٦١/١٤.

٢- والده سلمة بن عاصم، أبو محمد[١]، راوية الفراء وصاحبه، كان ثقة عالمًا حافظًا متواضعًا، من كبار أئمة العربية في العراق، وقد أخذ عنه ابنه المفضل النحو، واللغة، وروى عنه كثيرًا من الأخبار والشعر[٢].

٣-يعقوب بن إسحاق بن السكيت، أبو يوسف (٢٤٤هـ)[٣]، أحد النحويين الكوفيين، كان عالمًا باللغة والشعر والقراءات[٤].

٤-أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب (٢٩١هـ) [٥]، أحد أشهر النحويين الكوفيين، إمام في النحو واللغة، جلس للتدريس وعمره خمس وعشرون سنة، صنف العديد من الكتب[٦].

وتذكر المصادر أنه روى وحدث عن جماعة من العلماء، منهم علي بن مسلم بن سعيد الطوسي (٢٥٣هـ)، وعمر بن شبة بن عَبْدة(٢٦٢هـ)، ومحمد ابن شداد المسمعي (٢٨٧هـ)، ويعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل[٧].

(١) تنظر ترجمته في: الفهرست ١٠١، وتاريخ بغداد ١٣٤/٩، وإنباه الرواة ٥٦/٢، وتاريخ الإسلام ١٧٤/١٧.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٩/١، ٢١٧/٧، ٢٣٢/٩، ٣٣١/١١، ٣٨/١٢، ١٠٥، ومعجم الأدباء ٢٧٠٩/٦، وإنباه الرواة ٣٠٦/٣.

(٣) تنظر ترجمته في: مراتب النحويين ٩٥، وإنباه الرواة ٥٦/٤، وبغية الوعاة ٣٤٩/٢.

(٤) ينظر: معجم الأدباء ٢٧٠٩/٦، وبغية الوعاة ٢٩٧/٢.

(٥) تنظر ترجمته في: الفهرست ١١٠، وإنباه الرواة ١٧٣/١، ووفيات الأعيان ١٠٢/١.

(٦) ينظر: معجم الأدباء ٢٧٠٩/٦، وبغية الوعاة ٢٩٧/٢.

(٧)ينظر: تاريخ بغداد٢٩١/١٤، وإنباه الرواة ٣٠٥/٣، وسير أعلام البنبلاء ٣٦٢/١٤، وتاريخ الإسلام ٣٠٩/٢١.

تلامذته:

من أشهر تلامذته:

١- محمد بن أبي جعفر المنذري، أبو الفضل (٣٢٩هـ)[١]، نحوي لغوي، وهو شيخ محمد بن أحمد الأزهري صاحب التهذيب، وقد روى الأزهري في تهذيبه عن المفضل بواسطة المنذري في عدد من المواضع[٢].

٢- عيسى بن مردان الكوفي، أبوموسى[٣]، قال ابن النديم: قرأت بخط ابن الكوفي أنه أخذ عن أبي طالب المفضل بن سلمة وروى عنه، وله من الكتب كتاب القياس على أصول النحو[٤].

٣- محمد بن يحيى الصولي، أبو بكر (٣٣٥هـ)[٥]، عالم بالأدب، والتاريخ، كان واسع الرواية، حسن الحفظ، جمع عددًا من دواوين الشعراء، قال الخطيب البغدادي في ترجمة المفضل بن سلمة: روى عنه محمد بن يحيى الصولي، وزعم أنه سمع منه في سنة تسعين ومائتين[٦]، وهو أحد رواة كتاب الفاخر للمفضل، جاء في أول الكتاب: حدثني أحمد بن عبيدالله بن أحمد، قال: أملى علينا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي رحمه الله هذا الكتاب. . . ، قال: حدثنا أبو طالب المفضل ابن سلمة بن عاصم قال: هذا كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في أمثالهم

---

(١) تنظر ترجمته في: إنباه الرواة ٧٠/٣، والوافي بالوفيات ٢٩٧/٢، وبغية الوعاة ٧٢/١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة١٩/١، ١٠١، ١٤١/٢، ٢٤٣، ١٢٤/٣، ٢١٧/٧، ١٤٤/٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٧/١٠.

(٣) له ترجمة موجزة في: معجم الأدباء ٢١٤٣/٥، وبغية الوعاة ٢٣٨/٢.

(٤) الفهرست ١٠٥، وعنه في معجم الأدباء ٢١٤٣/٥.

(٥) تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤١٢/٣، وإنباه الرواة ٢٣٣/٣، وطبقات النحويين لابن شهبة ٢٧٦.

(٦) تاريخ بغداد ١٢٤/١٣، وينظر: إنباه الرواة ٣٠٦/٣.

ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك. . . [١]، وجاء في آخر الكتاب: آخر كتاب الفاخر الذي أملاه علينا محمد بن يحيى الصولي عن المفضل[٢].

٤- علي بن هارون بن علي، أبو الحسن (٣٥٢هـ)[٣]، كان راوية شاعرًا أديبًا ظريفًا، صنف العديد من الكتب، أخذ عن أبي طالب، وروى عنه بعض الأشعار[٤]، وهو أيضًا ممن رووا كتاب الفاخر، جاء في آخر الكتاب: آخر كتاب الفاخر الذي أخبرنا به علي بن هارون، وقال: قرأه علينا أبو طالب المفضل[٥].

٥- عبد العزيز بن الطاهري[٦]، وهو أيضًا من رواة الفاخر، جاء في آخر الكتاب: وأخبرني به عبد العزيز بن الطاهري، وقال: حدثنا به المفضل، وكان معلمنا[٧].

٦- محمد بن الوزير إسماعيل بن بلبل[٨]، وهو راوي كتاب مختصر المذكر والمؤنث للمفضل، جاء في صفحة العنوان لهذا الكتاب: قرأ علي أبو الفرج محمد ابن إبراهيم الأصبهاني هذا الكتاب، ورويته له عن أبي ثعلب محمد بن إسماعيل

(١) الفاخر ١.
(٢) الفاخر ٣٢٤.
(٣) تنظر ترجمته في: الفهرست ٢٠٦، ومعجم الأدباء ١٩٩١/٥.
(٤) ينظر: الموشح للمرزباني ٢٦٢.
(٥) الفاخر ٣٢٤.
(٦) لم أجد له ترجمة.
(٧) الفاخر ٣٢٤.
(٨) لم أجد له ترجمة.

ابن بلبل، عن أبي طالب المفضل بن سلمة، وكتب الطيب ابن علي بيده في رجب من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[١].المفضل.

وفاته:

لم ينص أحد من المتقدمين – فيما رجعت إليه من مصادر – على تاريخ وفاة المفضل، وجزم بعض المتأخرين[٢] بأن وفاته كانت في سنة ٢٩٠هـ، ولا دليل لهم على ذلك إلا ما ذكره تلميذه محمد بن يحيى الصولي أحد رواة كتاب الفاخر من أنه سمع من شيخه سنة ٢٩٠هـ[٣]، وسماعه منه في تلك السنة دليل على أنه لم يمت يمت قبلها، وليس دليلاً على أنه مات فيها، ولذلك كان الإمام الذهبي دقيقًا عندما قال عن المفضل: إنه توفي بعد التسعين ومائتين[٤]، وهذالذي أميل إليه ٠

(١) مختصر المذكر والمؤنث منشور في: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ١٧، ج ٢، ص ٣٠٩.

(٢) ينظر: هدية العارفين ١٩٢/٢، وكشف الظنون ٢١٧/١، وإيضاح المكنون ٥/١.

(٣) ينظر: تاريخ بغداد ١٢٤/١٣، وينظر: إنباه الرواة ٣٠٦/٣.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٢/١٤.

المبحث الثاني
آثـاره العلميـة

ترك أبو طالب المفضل بن سلمة – رحمه الله – ثروة علمية لا بأس بها، تضم مصنفات متنوعة في موضوعاتها وعلومها، فقد ألف في دراسة القرآن، كما ألف في النحو، والأدب، واللغة، وفي الأخير كانت أغلب مصنفاته، قال ابن خلكان في بداية التعريف بالمفضل: صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب، ومعاني القرآن[(١)]، وهذا عرض موجز لمصنفاته، وسأبدأ أولاً بذكر كتبه التي وصلت إلينا محققة:

١- كتاب الفاخر[(٢)].

٢- كتاب مختصر المذكر والمؤنث[(٣)].

٣- كتاب ما تلحن فيه العامة[(٤)].

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٢٠٥.

(٢) وهو في: معاني ما يجري على ألسن العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به، حققه عبدالعليم الطحاوي، ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م، وهذا الكتاب ذكره أكثر من ترجم للمفضل وكلهم جعلوه فيما تلحن فيه العامة، وقد نفى محقق الكتاب ذلك – وهو مصيب – واستدل بما قاله المفضل في مقدمته، وبمحتوى الكتاب.

(٣) حققه الدكتور رمضان عبدالتواب، ونشره في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ١٧، ج ٢، ص ٢٧٩-٣٣٦.

(٤) حققه الدكتور حاتم صالح الضامن، ونشر مقتطفات منه في مجلة العرب، ج ١ و ٢، رجب وشعبان ١٤٢٦هـ، وقد ذكر المحقق أن كتب التراجم تذكر الكتاب باسم الفاخر فيما يلحن فيه العامة، وأيد ما ذكره محقق الفاخر، وبين أن كتاب ما تلحن فيه العامة كتاب مستقل يختلف عن الفاخر.

٤- كتاب الملاهي وأسمائها من قبل الموسيقى[١].

٥- كتاب غاية الأرب[٢].

أما مؤلفاته التي لم تصل إلينا[٣]، فهي: المقصور والممدود، وضياء القلوب في تفسير القرآن العزيز، وضياء القلوب في معاني القرآن – وفي كلام القفطي ما يشير إلى أنه يختلف عن الذي قبله[٤]– ووصفه ابن النديم وابن خلكان بأنه كبير، وأنه يقع في اثنين وعشرين جزءًا[٥]، وكتب التفسير وغريب القرآن مليئة بالنقل عنه، في معاني بعض الآيات[٦]، وضياء القلوب في الأدب، ذكره الإمام الذهبي[٧]ويظهر لي أن "ضياء القلوب" كتاب مختص بكتاب الله عزوجل، وهذا واضح من تسميته، أما ما ذكره الإمام الذهبي فهو وهم منه رحمه الله، ومنشأ هذا الوهم – فيما يظهر – أنه أخذ المعلومة من تاريخ بغداد، والخطيب قال في ترجمة المفضل: له كتاب ضياء القلوب، وغيره في الأدب، وهو يريد – فيما يبدو –: له هذا الكتاب الكبير المشهور، وكتب أخرى في الأدب، ومن كتب المفضل بن سلمة

(١) حققه غطاس عبدالملك خشبة، ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٥م.

(٢) نشرته مطبعة الجوائب ضمن مجموعة تحت عنوان: خمس رسائل، وذلك في سنة ١٣٠١هـ، وغاية الأرب إنما هو قطعة من كتاب الفاخر.

(٣) ينظر: الفهرست ١٠٩، وتاريخ بغداد١٢٤/١٣، ونزهة الألباء١٥٤، وفهرست ابن خير٩٤، وإنباه الرواة ٣٠٦/٣، ومعجم الأدباء ٢٧٠٩/٦، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٤، وتاريخ الإسلام ٣٠٩/٢١، وبغية الوعاة ٢٩٦/٢.

(٤) ينظر: إنباه الرواة ٣٠٦/٣.

(٥) ينظر: الفهرست ١٠٩، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٤.

(٦) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٦/١، وتفسير القرطبي ٦٢/٣، ومفاتيح الغيب ٥٤٧/٣ ٦٣/٣١، ٣١٥/٣٢، والبحر المحيط ٦٢٨/١، والكشف والبيان ٢٧٧/١، ١٥/٢، ٨٢، ٨٩، ١٦٢.

(٧) ينظر: تاريخ الإسلام ٣٠٩/٢١.

التي لم تصل إلينا أيضًاكتاب الاشتقاق، وكتاب البلاد والزرع والنبات، وكتاب آلة الكاتب، وكتاب الخط والقلم، وكتاب المدخل إلى علم النحو، وكتاب جلاء الشبه، وكتاب جماهير القبائل، وكتاب الطيب، وكتاب المطيب، وكتاب الطيف ولعل الأخيرين مصحفان عن الذي قبلهما، بدليل أن الحريري في درة الغواص[١]والبغدادي في الخزانة[٢] نقلا نصَّين يناسبهما أن يكونا تحت العنوان الأول، قال الحريري: ((قال المفضل بن سلمة في كتاب الطيب: إن من أسماء الزعفران الجاذي والجادي)) وقال البغدادي: ((وقال المفضل بن سلمة في كتاب الطيب: ومن الطيب المسك، يقال: هو المسك، والأناب، واللطيمة))، ومما ذكره أصحاب التراجم من كتبه أيضًا كتاب الأنواء والبوارح، وكتاب شعر الصمة القشيري[٣]، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب البارع في اللغة، وهذا الأخير وصفه غير واحد بأنه كبير جدًّا[٤]، وأن المؤلف توفي قبل إتمامه، وذكروا أن الذي خرج منه الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، وذكر القفطي[٥]، وابن الخشاب – فيما نقله عنه ياقوت[٦]– ياقوت[٦]– أن هذا الكتاب في الاستدراك على الخليل والرد عليه في كتاب العين، وغيرهما ممن تحدث عن المفضل وترجم له يذكر له هذا الكتاب، ويذكر له كتابًا

(١) ص ٤٢.

(٢) ٤٦٩/٧.

(٣) ينظر: الفهرست ٢٢٦.

(٤) ينظر: الفهرست ١٠٩، وإنباه الرواة ٣٠٦/٣، ووفيات الأعيان ٢٠٥/٤، وتاريخ الإسلام ٣٠٩/٢١.

(٥) ينظر: إنباه الرواة ٣٠٦/٣.

(٦) ينظر: معجم الأدباء ١٩٦٦/٥.

آخر في الرد على الخليل، فيجعلونهما كتابين لا كتابا واحدا، وكتب اللغة مليئة بالنقل عن كتاب المفضل في الرد على الخليل[1].

ويجدر بي أن أشير هنا إلى أنه قد نُسب إلى المفضل بن سلمة خطأً كتاب الأمثال[2]، والمعروف أن كتاب الأمثال للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي[3]وليس لصاحبنا.

(١) ينظر على سبيل المثال: العباب الزاخر ١٤٨/١، ٢٨٤، والمزهر ٧٠/١، وتاج العروس ٥١٤/٦(شيح)، ٢٦٤/١٦(عطس)، ٤٧٠/١٩(عذط)، ٢٣٥/٢٠(شيظ).

(٢) ينظر: هدية العارفين ١٩٢/٢، وإيضاح المكنون ٢٧٢/٢، والأعلام ٢٧٩/٧.

(٣) وقد صدر الكتاب بتحقيق الدكتور إحسان عباس، ونشرته دار الرائد العربي ببيروت، عام ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

المبحث الثالث

اختياراتــه الصرفيــة

١- القلب المكاني في (يؤاسيه) :

هو تغيير في ترتيب حروف الكلمة بتقديم بعض حروفها عن موضعها الأصلي الذي كانت وتأخير بعضها الآخر، وهذا التغيير مما يجب أن يراعى في الميزان الصرفي، وأمثلته كثيرة جدًّا في كلام العرب[١]، ومن ذلك ما ذكره المفضل بن سلمة في كلمتي "يؤاسيه" و"الطادي"، قال: ((قولهم: ما يؤاسيه أي: ما يعوضه من قرابته أو مودته بشيء. . . وكان يجب أن يقال: يؤاوسه، ولكن قلبت الواو فجعلت لام الفعل، كما قال القطامي:

ما اعتاد حب سليمى حين ولا تَقَضَّى بواقي دَيْنَهـا[٢]

أراد الواطد أي الثابت، فقلب الواو فجعلها لام الفعل، ومثله كثير من المقلوب[٣]))، ووزن "يؤاسيه" قبل القلب "يُفاعله" وبعد القلب "يُفالعه"، ووزن "الطادي" قبل القلب "فاعل" وبعد القلب "عالف"، وقد أخذ أبو بكر الأنباري هذا في الزاهر وزاده إيضاحًا، وذلك بأن علل لقلب الواو ياءً في " يؤاسيه" و"الطادي" فقال عن الأولى: ((وكان الأصل فيه ما يُؤاوِسُه، فقدموا السين وهي لام الفعل، وأخّروا الواو وهي عين الفعل فصار يُؤاسُوه، فصارت الواو ياء لتحركها وانكسار ما قبلها))، وقال عن الثانية: ((الطادي الفاعل، من وَطَدْت إذا ثبت، أصله الواطد، فأخّر الواو فجعلها في موضع اللام من الفعل فصار الطادِوُ، ثم جعل الواو ياء لتحركها وانكسار

(١) ينظر: شرح الشافية ١/٢١-٣٢.

(٢) البيت للقطامي في الزاهر ٢/٢٥٩، والصحاح (وطد)، والمحكم ٩/٢٣٠.

(٣) الفاخر ١٠.

ما قبلها[١]))، وأجاز أبو بكر الأنباري أن تكون "يؤاسيه" غير مقلوبة ويكون وزنها "يُفاعل"، قال: ((ويجوز عندي أن يكون يؤاسي غير مقلوب فيكون يُفاعل من أَسوْت الجُرح إذا أصلحته فتكون الهمزة فاء الفعل والسين عين الفعل والياء لام الفعل ويستغنى في هذا الوجه عن القلب[٢])).

٢- "العذير" هل هو مصدر أو بمعنى عاذر؟:

اُخْتُلِفَ في "العذير" في نحو قول العرب: مَنْ عذيري من فلان؟[٣]، فذهب سيبويه ووافقه أبو بكر الأنباري، وابن السيرافي، والأعلم الشنتمري، وابن يعيش[٤]إلى أنه مصدر بمعنى العُذر، قال سيبويه متحدثًا عن المصادر التي تنوب مناب أفعالها: ((وحدّثنا من لا نَتَهِمُ أنه سمع من العرب من يقول: رُوَيْدَ نفسِه، جعَله مصدرًا، كقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ[٥]﴾ وكقوله: عَذِيرَ الحيَّ[٦]))، وقال في باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره: ((ومما جُعل بدلاً من اللفظ بالفعل قولهم الحذرَ الحذرَ، والنَّجاءَ النَّجاءَ وضَرْبًا ضَرْبًا، فإنَّما انتَصب هذا على الْزَمِ الحَذَرَ، وعليك النجاءَ، ولكنّهم حذفوا، لأنَّه صار بمنزلة افْعَل، ودخولُ الزم وعليك على افعَلْ مُحالٌ، ومن ثمّ قالوا وهو لعمرو بن مَعْد يكَرِبَ:

(١) الزاهر ٢٥٩/١.

(٢) الزاهر ٢٥٩/١.

(٣) أي من يعذرني منه، كأنه يخبر عن إساءته إليه، واستحقاقه المجازاة، فيقول: يعذرني منه إذا جازيته بسوء فعله. ينظر: الزاهر ٣٣١/١، وتهذيب اللغة ١٨٥/٢.

(٤) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: الكتاب ٢٤٥/١، ٢٧٧، الزاهر ٣٣١/١، شرح أبيات سيبويه ٣٠٠-٣٠١، تحصيل عين الذهب ١٨٢، شرح المفصل ٢٦/٢-٢٧.

(٥) من الآية ٤ من سورة محمد.

(٦) جزء من بيت سيأتي كاملاً بعد قليل، وينظر نص سيبويه في الكتاب ٢٤٥/١-٢٤٦.

أُرِيـــدُ حِبَـــاءَه ويرُيـــدُ قَتلـــى عَـذِيرَك مـن خَلِيلِك مـن مُـرادِ[1]

. . . وقال ذو الإصبعَ العَدْوانيّ:

عَـــذيرَ الحـــيَّ مـــن عَـــدْوَانَ كـــــانوا حيّـــــةَ الأرضِ[2]

فلم يجز إظهارُ الفعل وقَبُحَ كما كان ذلك مُحالاً[3])).

وذهب المفضل بن سلمة إلى أن "عذير" بمعنى "عاذر"، كعليم وعالم، وقدير وقادر، وشهيد وشاهد، والمعنى: هات عاذرك، أو أحضر عاذرك، وضعف قول سيبويه – ولم يبطله – بحجة أن فعيلاً لايبنى منه مصدر إلا في الأصوات، نحو: الصهيل، والأزيز، والصليل، والزئير، والنعيق، والفحيح، قال السيرافي: ((وضعف المفضل بن سلمة اللغوي هذا أن يكون معنى العذر مصدرًا، قال: لأن المصادر على فعيل لا تأتي إلا في الأصوات، نحو: الصهيل، والصليل، والزئير، وأجاز أن يكون مصدرًا بمعنى العذر، غير أنه اختار الأول[4])).

وقد رجح الأعلم وابن يعيش[5]قول سيبويه، واحتجوا له بأمرين:

الأول: أن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلاً منه، لأنه اسمه، ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل.

---

(١) البيت من الوافر، وهو لعمرو بن معديكرب في في الكتاب ٢٧٦/١، وشرح أبيات سيبويه لابن ٣٠٠/١، وتحصيل عين الذهب ١٨٢، والنكت ٤٦٧/١.

(٢) البيت من الهزج، وهو لذي الإصبع العدواني في الكتاب ٢٧٧/١، وتحصيل عين الذهب ١٨٤، والنكت ٤٦٨/١.

(٣) الكتاب ٢٧٥/١-٢٧٧.

(٤) شرح السيرافي ٦٨/٢، وعنه نقل المرزوقي في أماليه، وينظر: النكت دون نص على اسم المفضل.

(٥) ينظر: تحصيل عين الذهب للأعلم ١٨٢، وشرح المفصل لابن يعيش ٢٦/٢-٢٧.

الثاني: أنه قد جاء "فعيل" مصدرًا في غير الصوت، كقولهم: وجب القلب وجيبًا، إذا اضطرب،قال ابن يعيش:((وأما قولهم:عذيرك، فهو مصدر كالعذر. . . ، وهو مذهب سيبويه، وهو الصواب، لأنه وضع موضع الفعل، والمصدر يطرد وضعه موضع الفعل، نحو: رويدك، وحذرك، ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل، على أنهم قالوا: وجب القلب وجيبًا، فجاء المصدر على فعيل في غير الأصوات، فجاز أن يكون هذا منه[1])).

٣- مجيء صيغة "فاعل" بمعنى "مفعول":

ذكر المفضل بن سلمة أن صيغة "فاعل" تأتي بمعنى "مفعول"، وجعل من ذلك على سبيل البقين قولهم: ماءٌ دافقٌ، وسِرٌّ كاتمٌ، وأمرٌ عارفٌ، وعلى سبيل الاحتمال قولهم: ما بالدار صافرٌ، قال: ((قولهم ما بالدَّارِ صافِرٌ، قال أبو عبيدة والأصمعي: معناه ما في الدار أحدٌ يُصْفَر به، قال المفضل: وهذا مما جاء على لفظ فاعل ومعناه مفعول به، كما قالوا: ماء دافقٌ، وسِرٌّ كاتمٌ، وأمرٌ عارفٌ، وقال الشاعر:

خَلَتِ الديارُ فما بِها ممَّن عَهِدْت بهنَّ صافِرِ[2]

وقال غيرهما: صافرٌ: أحدٌ، كما يقال ما بها دَيَّار[3])).

(١) شرح المفصل ٢/٢٦-٢٧.

(٢) البيت من الكامل المجزوءغير منسوب في الزاهر ١/٢٣٦، وتهذيب اللغة ١٢/١١٨، وتاج العروس ١٢/٣٣٥ (صفر).

(٣) الفاخر ٢٣.

وما ذكره المفضل من مجيء صيغة "فاعل" بمعنى "مفعول" ليس محل اتفاق بين النحويين، وإنما هو قول الفراء[١]وأبي عبيدة[٢]، وأبي بكر الأنباري[٣]، وابن فارس[٤]، ونُسب إلى عموم الكوفيين[٥]، قال الفراء: ((والعرب تقول: هذا ليلٌ نائمٌ، وسر كاتمٌ، وماء دافقٌ، فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول فى الأصل، وذلك: أنهم يريدون وجه المدح أو الذم، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فعلا مصرحًا لم يُقل ذلك فيه، لأنه لا يجوز أن تقول للضارب:مضروب،ولا للمضروب: ضارب لأنه لا مدح فيه ولا ذم[٦])).وعزي إلى البصريين[٧]ومنهم الخليل وسيبويه[٨]عدم جواز مجيء فاعل بمعنى مفعول، قال القيسي: ((وليس عند البصريين فاعل بمعنى مفعول، والكوفيون يرون ذلك[٩]))، وما ذُكر من شواهد محتملة يجعلها هؤلاء جارية جارية مجرى النسب، والتقدير – عندهم – في "ماء دافق"، أي ذو دفق، وهكذا البقية، واختار هذا القول ابن جني، وابن سيده[١٠].

(١) ينظر: معاني القرآن ١٥/٢، ١٨٢/٣، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٧٦.
(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٣٦٧/٦، ٢٧٠/١٨.
(٣) ينظر: الزاهر ٢٣٦/١.
(٤) ينظر: الصاحبي ١٦٨.
(٥) ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح ٥٩٢/٢.
(٦) معاني القرآن ١٨٢/٣.
(٧) ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح ٥٩٢/٢.
(٨) ينظر: الخصائص ١٥٢/١، وتهذيب اللغة ٥٢/٩.
(٩) إيضاح شواهد الإيضاح ٥٩٢/٢.
(١٠) ينظر: الخصائص لابن جني ١٥٢/١، والمحكم لابن سيده ٥٨٤/٨.

وذهب كثير من النحويين منهم أبو جعفر النحاس، والأزهري، وابن بري، والعكبري، والمطرزي، والرضي، وأبو حيان[1]وهو الصحيح – في نظري – إلى جواز مجيء فاعل بمعنى مفعول – كما هو قول المفضل ومن معه – ولكن الأولى أن تكون تلك الألفاظ وما شابهها من الأشياء التي أجريت مجرى النسب – كما هو قول البصريين –، وذلك لتبقى كل صيغة على أصلها الذي وضعت له، قال الرضي: ((وقد جاء فاعل بمعنى مفعول، نحو: ماء دافق أي ماء مدفوق، وعيشة راضية، أي مرضية، والأولى أن يكونا على النسب، كنابل وناشب، إذ لا يلزم أن يكون فاعل الذي بمعنى النسب مما لا فعل له، كنابل، بل يجوز أيضا كونه مما جاء منه الفعل، فيشترك النسب واسم الفاعل في اللفظ[2]))، ويفرق بينهما بالقرائن اللفظية أو المعنوية.

٤- مجيء اسم التفضيل من المتباينين في الصفة:

اسم التفضيل هو اسم مصوغ على" أفعل" ليدل على زيادة الموصوف على غيره في الفعل المشتق هو منه، نحو: زيد أفضل من عمرو، أو أصدق، أو أشرف، أو أحسن، أو نحو ذلك [3] فـ "أفعل" في الألفاظ السابقة وضع لمشتركين في معنى واحد أحدهما يزيد على الآخر في الوصف به، فنحو: زيد أحسن من عمرو، زيد وعمرو يشتركان في الحسن إلا أن حسن زيد يزيد على حسن عمرو ٠

(١) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: إعراب القرآن ١٤٢/٥، تهذيب اللغة ٩٤/٣، ٦/٥، ٢٥٣/٨، إملاء إملاء ما من به الرحمن ٣٩/٢، ٢٦٨، ٢٨٥، المغرب في ترتيب المعرب ٢٩١/١، شرح الكافية ٧٢٢/٣، البحر المحيط ١٥٨/٦.

(٢) شرح الكافية ٧٢٣/٣.

(٣) ينظر: شرح الكافية للرضي ٥١٢/٣، والارتشاف ٢٣١٩/٥، وكتاب الكليات لأبي البقاء ١٣٢.

وقد اختلف النحويون في مجيء اسم التفضيل من المتباينين في الصفة، فذهب سيبويه والبصريون[1] والمفضل بن سلمة من الكوفيين إلى أن أفعل، التي للتفضيل، لا تصح حيث لا اشتراك في الصفة، كقولك: الثلج أبرد من النار، والنور أضوء من الظلمة، والشتاء أبرد من الصيف.

وذهب الفراء وجماعة من الكوفيين[2] إلى أنه يصح حيث الاشتراك، وحيث لا يكون اشتراك. وقد استدل الفراء على جواز مجيء اسم التفضيل في المتباينين في الصفة بقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا[3]﴾، قال الفراء: ((وأهل الكلام إذا اجتمع لهم أحمقٌ وعاقلٌ لم يستجيزوا أن يقولوا: هذا أحمق الرجلين ولا أعقل الرجلين، ويقولون: لانقول هذا أعقلُ الرّجلين، إلاَّ لعاقلين يُفضَّل أحدهما على صاحبه، وقد قال الله جل وعز: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾، فجعل أهل الجنة خيرًا مستقرًّا من أهل النار وليس في مستقر أهل النار شيءٌ من الخير فاعرِف ذلك مِن خطئهم[4])).

وقد خرج المانعون هذه الآية بعدة تخريجات، منها:

أنه إنما جاز ذلك في الآية، لأن المفضل والمفضل عليه كلاهما موضع، وهذا قول المفضل بن سلمة والزجاج[5]، قال الأزهري: ((وذكر المنذري عن المفضَّل بن سلمة أنه قال إنما جاز ذلك لأنه موضع، فيقال: هذا الموضع خيرٌ من ذلك

(١) ينظر: البحر المحيط ١٧٤/٢.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١٥٤/٣، ١٥٧، ٣٠/٢، والجامع لأحكام القرآن ٧٠/٣، والبحر المحيط ١٧٤/٢.

(٣) الآية ٢٤ من سورة الفرقان.

(٤) معاني القرآن ٢٦١/٢-٢٦٢، وتهذيب اللغة ٢٣٣/٩، واللسان ٥٧٢/١١ (قيل).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة ٢٣٣/٩، واللسان ٥٧٢/١١ (قيل).

الموضع، وإذا كانت نَعْتاً لم يستقم أن يكون نعتٌ واحدٌ لاثنين مختلفين، قلت: ونحو ذلك قال الزجاج، وقال: يفرَّق بين المنازل والنُعوت[١])).

ويرى بعضهم أن الآية جاءت بأسلوب التفضيل على سبيل التهكم بالمشركين[٢]، ويرى بعضهم أن التفضيل وقع هنا على سبيل الاعتقاد لا على سبيل الوجود، فكأنهم لما اختاروا موجب النار، وجعلوه معتقدًا لهم، اختاروا النار[٣]، وقال أبو حيان: ((وخَيْرٌ قيل: ليست على بابها من استعمالها دلالة على الأفضلية فيلزم من ذلك خير في مستقر أهل النار، ويمكن إبقاؤها على بابها ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه، فالمعنى: خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا في الآخرة من الكفار المترفين في الدنيا، وَأَحْسَنُ مَقِيلًا في الآخرة من أولئك في الدنيا، وقيل: خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا منهم لو كان لهم مستقر، فيكون التقدير وجود مستقر لهم فيه خير[٤])).

٥- حذف الهمزة سماعا من "أفعل" في التفضيل:

يصاغ اسم التفضيل على وزن "أفعل" من مصدر الفعل الذي يراد التفضيل في معناه بشروط ذكرها النحويون[٥]، وقد حُذفت الهمزة في هذا الباب من بعض الكلمات، ذكر منها النحويون ومنهم المفضل بن سلمة "خير" و"شرّ" و"حبّ"، وعللوا

(١) تهذيب اللغة ٢٣٣/٩، وينظر: لسان العرب ٥٧٢/١١ (قيل).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٥/١٩.
(٣) ينظر: شرح الكافية ٥١٥/٣، والبحر المحيط ١٧٤/٢.
(٤) البحر المحيط ١٧٤/٢.
(٥) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٧٥٧/٢، وشرح ابن الناظم ٤٦١، والارتشاف ٢٠٧٧/٤، ٢٣١٩/٥، المسالك ٢٢٤/٣، ٢٥٦.

لذلك بكثرة الاستعمال[١]، وأصلها: أخير، وأشرٌ، وأحبٌ، قال المفضل بن سلمة متحدثًا عن إحدى الكلمات التي أسقطت الهمزة من أولها: ((أسقطت همزتها لكثرة استعمالهم إياها، كما أسقطوا همزة "هو خير منه" و"هو شرٌّ منه"، وكان الأصل: هو أخير، وأشر[٢]))، وقال: ((قولهم: يقال: أحبَّ وحبَّ بمعنى واحد[٣]))، واستدل النحويون على حذف الهمزة من أول الكلمات السابقة بمجيئها على الأصل في بعض الشواهد الفصيحة، ومن ذلك قراءة أبي قلابة: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشَرُ[٤]﴾ بفتح الشين[٥]، والحديث الصحيح: إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها[٦]، وقول الراجز:

بلال خير الناس وابنُ الأخيرِ[٧]

وقول الأحوص:

وزادني كلفًا بالحب إنْ مَنَعَتْ وحَبَّ شيء إلى الإنسان ما[٨]

٦- دلالة تاء التأنيث في قولهم: "علاَّمة ونسَّابة " ونحوهما:

(١) ينظر: الفاخر ٤٤، واللباب ٤٤٧/١، وشرح عمدة الحافظ ٧٦٩/٢، وأوضح المسالك ٢٥٦/٣، وشرح الأشموني ٣٨٣/٢.

(٢) الفاخر ٤٤.

(٣) الفاخر ١١٤.

(٤) الآية ٢٦ من سورة القمر.

(٥) ينظر القراءة في المحتسب ٢٩٩/٢، وشرح عمدة الحافظ ٧٦٩/٢.

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١٥٧/٤ برقم ٣٦١٥.

(٧) الرجز بلا نسبة في شرح عمدة الحافظ ٧٧٠/٢، والهمع ١٦٦/٢.

(٨) البيت من البسيط، وهو للأحوص الأنصاري في ديوانه ١٥٣، وشرح عمدة الحافظ ٧٧٠/٢. ٧٧٠/٢.

من علامات التأنيث في الأسماء التاء المربوطة الزائدة التي تقلب في الوقف هاء، والغرض الأصلي من زيادتها الفرق بين المذكر والمؤنث، ويكثر ذلك في الصفات، نحو: قائم وقائمة، وضارب وضاربة، ويقل في الأسماء الجامدة، نحو: رجل ورجلة، وغلام وغلامة، وإنسان وإنسانة، وامرئ وامرأة.

وتأتي هذه التاء في آخر الأسماء لمعانٍ أخرى عديدة، منها المبالغة، نحو: علاَّمة، ونَسَّابة، ونص النحويون على أن دلالة التاء المربوطة على المبالغة أو غيره من المعاني لايخرجها عن كونها للتأنيث(١)، واستدل الفارسي على ذلك بعدم جواز إطلاق وصف "علاَّمة" على الله ﷻ، قال: ((لأن لحاقها للتكثير لم يخرجها عن أن تكون للتأنيث(٢))).

ويرى الفراء ووافقه المفضل بن سلمة أن تلك التاء جاءت في وصف المذكر الممدوح والمذموم تشبيهًا بالداهية والبهيمة، فكأنهم إذا مدحوه وبالغوا في ذلك شبهوه بالداهية وأردوا أن أمره وفعله زائد على غيره كالداهية، وكذلك أيضًا إذا ذموه وبالغوا في ذلك شبهوه بالبهيمة التي لا تنطق بشيء يفهم، ولا تفرق بين الفعل القبيح والحسن، قال المفضل في كتابه "المذكر والمؤنث": ((باب ما يدخله الهاء من المذكر، قالوا: رجل راوية، وعلاَّمة، ومِطرابة، وضُحَكَة، وفي الذم: هِلباجة جَخَابة فَقَاقَة(٣)، فأدخلوا الهاء وهو مذكر، قال الفراء: العرب تدخل الهاء في وصف المذكر

(١) ينظر الحديث عن تاء التأنيث ودلالاتها في: المذكر والمؤنث للمبرد ١٠٥، والمذكر والمؤنث لابن التستري الكاتب ٤٨، والتكملة ٣٥٢، والمخصص ٦٥/٥، وشرح المقدمة الجزولية الكبير ١٠٥٧/٣، والمقرب ٤٦٢ وشرح الكافية الشافية ١٧٣٣/٤، وشرح المقرب المسمى التعليقة ١١٠٧/٢، والارتشاف ٦٣٧/٢، وتوضيح المقاصد ١٢/٣، وأوضح المسالك ٢٥٧/٤، والمساعد ٢٩٢/٣، والتصريح ٤٨٩/٢، والهمع ٦٢/٦.

(٢) المقاصد الشافية ٣٧٧/٤-٣٧٨، ٤٤٢/٨، نقلاً عن التذكرة لأبي علي الفارسي.

(٣) الألفاظ الثلاثة كلها تعني الأحمق الذي لا أحمق منه.

المذكر على وجهين، أحدهما: المدح، والآخر الذم، فيوجهون المدح إلى الداهية، والذم إلى البهيمة، فتدخل الهاء على مذهب هذين الاسمين في التأنيث، فقس عليه إن شاء الله[١]))، وقال في "الفاخر": ((وقال الفراء: يُدخل الهاء في وصف المذكر في المدح والذم، فأما على جهة المدح فيراد به الداهية، من ذلك قولهم: فلان علاَّمة ونسَّابة، وأما الذم فيراد به البهيمة، كقولهم: هِلبَاجة وفَقَاقَة[٢])).

أما البصريون فإنهم قالوا: الهاء في هذا الباب للمبالغة في الوصف الذي يمدح به أو يذم"، فعلاَّمة، أي كثير العلم، وراوية كثير الرواية، ونسَّابة، أي كثير العلم بالأنساب، وضُحَكَة، أي كثير الضحك، وهكذا البقية[٣].

٧- الوصف المختص بالمذكر أو المؤنث وحكمه من حيث المطابقة أوعدمها:

جرت عادة العرب أنهم لايدخلون علامة التأنيث في ما كان وصفًا يغلب في المذكر، كقولهم: أميرنا امرأة، وفلانة وكيل فلان، وفلانة وصي فلان، لأن تلك الأشياء أكثر من يقوم بها الرجال، قال المفضل بن سلمة: ((قالوا: أميرنا امرأة، ووصي بني فلان امرأة، ووكيل فلان ورسوله امرأة، وكذلك شاهد، ومؤذن، فلم يدخلوا في شيء من هذا الهاء، وليس بمصروف عن جهته، وإنما حملهم على ذلك أن هذا الوصف إنما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر من موضعيه[٤]))، واستشهد المفضل بقول الشاعر:

---

(١) المذكر والمؤنث ٣٢٧.

(٢) الفاخر ١٠٩.

(٣) ينظر: الأصول ٤٠٨/٢، والجمل المنسوب إلى الخليل ٢٨٥، وأسرار العربية ١٩٩، وإملاء ما من به الرحمن ٦٢/٢، ودرة الغواص ٦١،

(٤) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٦.

فليـــت أميرَنـــا وعُزلـــتَ عنَّـــا مُخَضَّـــبة أناملهـــا كَعَـــابُ[1]

فقال: أميرنا، بالتذكير مع أن الخبر الذي جرى عليه هذا الوصف مؤنث، وما ذكره المفضل هنا ذكره أيضًا عدد من العلماء، منهم الفراء، وأبو بكر الأنباري، وابن سيده، وابن عقيل[2]، وذكر المفضل أن التأنيث في الألفاظ السابقة ونحوها جائز في الشعر، إلا أن الأكثر هو التذكير، قال: ((وربما جاء في الشعر بالهاء وإسقاطها أكثر، وأنشد الفراء لعبدالله بن همام السلولي:

فلـــو جـــاءوا برملـــة أو بهنـــد لبايعنـــا أميـــرةَ مؤمنينـــا[3])).

ويرى أبو بكر الأنباري[4] وابن سيده جواز التأنيث في الشعر وغيره، قال ابن سيده: ((وربما أدخلوا الهاء فأضافوا فقالوا فلانةُ أميرةُ بني فلان وكذلك وكيلة وجَرِيَّةٌ ووصِيَّة[5]))، واستدل بما سمع عن العرب من قولهم"وكيلات"، فهذا يدل على جواز قولك"وكيلة"، وهذا الذي أجازه أبو بكر الأنباري وابن سيده أوجبه مجمع اللغة العربية في القاهرة في الجلسة السابعة من جلسات المؤتمر في الدورة الرابعة والأربعين، ونص القرار: ((لايجوز في ألقاب المناصب والأعمال – اسمًا كان أو صفة – أن يوصف المؤنث بالمذكر، فلا يقال: فلانة أستاذ، أو عضو، أو رئيس،

(١) البيت من الوافر لابن أحمر في المذكر والمؤنث للفراء ٥٥، و مختصر المذكر والمؤنث للمفضل ٣٢٦.

(٢) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: المذكر والمؤنث للفراء ٥٥، المذكر والمؤنث للأنباري ١٨٤/١، المخصص ١٥٥/٥، المساعد ٣٠١/٣.

(٣) مختصر المذكروالمؤنث ٣٢٦، والبيت من الوافر لعبدالله بن همام السلولي في المذكر والمؤنث للفراء ٥٥، والمخصص ١٥٦/٥.

(٤) ينظر: المذكر والمؤنث ١٨٣/١.

(٥) المخصص ١٥٥-١٥٦.

أو مدير[1]))، وحجتهم في ذلك أن مثل تلك المناصب كثرت في المؤنث كثرة تجعل التغليب غير وارد هنا، وإذا كان الأمر كذلك فيجب الالتزام بالقاعدة التي توجب مطابقة التعت للمنعوت، وما قرره المجمع وجيه -في نظري- في الأمثلة التي ذكروها، لكنه غير وجيه في منعه شيئًا استعملته العرب وجرت عليه في كلامها، فكان الأولى إبقاء القاعدة والنظر في تطبيقاتها فما كثر في المؤنث مما كان قليلاً في السابق مثل "رئيس" و"مدير" و"أمير" و"شاهد" و"وكيل" يقال بوجوب إلحاقه العلامة، وما قلَّ ولم يكثر مثل "إمام" و"مؤذن" يقال بعدم إلحاقه العلامة.

وجرت عادة العرب كذلك أنهم يدخلون علامة التأنيث في المؤنث في الأوصاف التي يشترك فيها مع المذكر، مثل: قائم وقائمة، فإن كان الوصف خاصًّا بالمؤنث دون المذكر، نحو: حائض، وطاهر، وطامث، وطالق، لم يدخلوها، لكون المذكر لا حظ له فيها، قال المفضل بن سلمة: ((قالوا للرجل: أنت قائم، وللمرأة: أنت قائمة، فالهاء هاهنا تأنيث، لايكون غيره، والقياس فيه مستمر أن يُفَرَّق بين المذكر والمؤنث بالهاء، ثم إن العرب قالت: امرأة حائض وطاهر وطامث وطالق، وناقة حائل، فلم يدخلوا في شيء من هذا الهاء، وإنما دعاهم إلى ذلك أن هذا وصف لا حظ فيه للمذكر، وإنما هو خاص بالمؤنث، فاستغنوا عن إدخال الهاء، لأنها إنما تدخل في فعل مشترك بين المذكر والمؤنث للفرق، فلما كان هذا للمؤنث خاصًّا، استغنوا عنها، وربما أتى بعض هذا في الشعر، وليس يحسن في الكلام[2]))،

(١) ينظر: القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٥٠٨.

(٢) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٠-٣٢١.

وما قاله المفضل هنا هو قول الفراء، وأبي بكر الأنباري[١]، ونُسب للكوفيين[٢].

ويرى بعض البصريين[٣]أنهم إنما أسقطوا الهاء من هذه النعوت، وجاءوا بها على لفظ المذكر، لأنهم أجروها مجرى النسب، كأنهم قالوا: امرأة ذات طلاق، وذات حيض، وذات طهر، وذات طمث، ولم يجعلوها جارية على الفعل، بمعنى طلقت فهي طالقة، وحاضت فهي حائضة، وطهرت فهي طاهرة، وطمثت فهي طامثة، فإن جعلوها جارية على أفعالها ألحقوها الهاء.

ويرى بعض البصريين[٤]ومنهم سيبويه[٥]إلى أنه إنما حذفت منه علامة التأنيث لأنهم حملوه على المعنى، كأنهم قالوا: شيء حائض، وشيء طالق، كما قالوا: رجل رَبَعْةٌ، فأنثوا والموصوف مذكر على معنى نفس ربعة.

والذي أميل إليه قول سيبويه ومن وافقه من البصريين، لأن الحمل على المعنى في كلام العرب أكثر من أن يحصى، أما قول الكوفيين فهو مرجوح، لأنه لو كان الأمر كما قالوا لما دخلت علامة التأنيث في "مرضعة" من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ[٦]﴾ لأن هذا وصف لايكون في المذكر[٧].

(١) ينظر: المذكر والمؤنث: للفراء ٥٥، وللأنباري ١٨٣/١.

(٢) ينظر: الإنصاف ٧٥٨/٢، وإيضاح شواهد الإيضاح ٥٩٣/٢.

(٣) ينظر: المقتضب ١٦٤/٣، والأصول ٨٤/٣، والإنصاف ٧٥٨/٢، وشرح المفصل ١٠٠/٥.

(٤) ينظر: الإنصاف ٧٥٨/٢، وجعله القيسي في إيضاح شواهد الإيضاح ٥٩٣/٢ رأيًا لجميع البصريين.

(٥) ينظر: الكتاب ٣٨٣/٣، والأصول ٨٤/٣.

(٦) من الآية ٢ من سورة الحج.

(٧) ينظر: الإنصاف ٧٧٧.

وذكر المفضل إنه إذاكان الوصف خاصًّا بالمؤنث دون المذكر وكان مما آخره ياء أو واو فإنه يصح إدخال الهاء ويصح إسقاطها، قال: ((وقد يُدخلون الهاء في ذوات الياء والواو، فيقولون: امرأة مُصبٍ ومصبية، وكلبة مُجرٍ ومُجرية. . . فالذين أسقطوا الهاء مضوا على القياس، والذين أدخلوها قالوا: كرهنا أن نُسقط الهاء فتسقط الياء، فيجتمع سقوط شيئين من الحرف[1])).

٨- "أصل العين المحذوفة من " استخرت " :

يرى يونس بن حبيب ووافقه المفضل بن سلمة أن أصل "اِسْتَخَرْتُ" "اِسْتَخْيَرْتُ" فنقلت حركة الياء التي هي عين الكلمة إلى الخاء فسكنت الياء وبعدها الراء ساكنة، فحذفت الياء تخلصًا من التقاء الساكنين، قال المفضل: ((قولهم: استخرت الله، حُكي عن يونس بن حبيب النحوي "استخرت" استفعلت من الخير، أي سألته أن يوفق لي خير الأشياء التي أقصدها، قال: وكان الأصل اِسْتَخْيَرْتُ الله، فأسقطت الياء، وألقيت حركتها على الخاء لأن الياء ساكنة وبعدها الراء ساكنة، فأسقطت لاجتماع الساكنين[2])).

ويرى بعض النحويين[3]أن عين الكلمة المحذوف من"استخرت"لالتقاء الساكنين واو وليس ياء، وأن الكلمة من "خار يخور"، قال الأزهري: ((ويقال: اسْتَخَرْتُ فلانًا فما خَارَ لي، أي: فما عَطَفَ، والأصلُ في هذا أنَّ الصَّائِدَ يأتي المَوْضِعَ الذي يَظُنُّ فيه ولَدَ الظَّبية أوالبقرَة الوحشيَّة، فَيَخُورُ خُوَارَ الْغَزَال فتَسْتَمِعُ الأُمُّ، فإن كان لها ولَدٌ، ظَنَّتْ أنَّ الصوتَ صوتُ ولَدِها، فتَتْبَعُ الصوت، فيعلَمُ الصائِدُ

(١) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٢.

(٢) الفاخر ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ٢٢٤/٧، والمحكم ٢٩٣/٥، واللسان ٢٦١/٤(خور)، ٢٦٤(خير).

حينئذٍ أَنَّ لها ولَدًا، فيطلبُ موضِعَهُ، فيقال: استَخَارها أي: خَارَ لِتَخُورَ، ثم قيل لكلِّ مِن استعطف: قد استَخَار[1]))، قال ابن سيده: فعين: استخرت على هذا واو[2].

وعندي أن للكلمة أصلين : الياء والواو ، تقول : استخار يستخير ، إذا طلب الخيرة في أمر ما، ومنه قولهم : " والله يخير للعبد"[3] وقولهم :طلب من الله الخيرة[4]، فأصل العين على هذا الياء، وإن كان "استخرت" بمعنى" استعطفت " فأصلها الواو ؛ للأصل الذي ذكره الأزهري.

٩- الاشتقاق من "العذط" بين الجواز والمنع:

جاء في كتاب العين[5]: عذط: العِذْيَوْط: الذي إذا أتى أهله أكسل، ويُجمَعُ عَذاييط وعَذاويطِ وإن شئت عِذْيَوْطُونَ، وقد عَذْيَطَ عَذْيَطَةً.

وقد اعترضه المفضل بن سلمة وزعم أنه لايشتق من "العذط" فعل.

قال الصاغاني في العباب الزاخر: ((العذْيوْطُ: الذي يحدث عند الجماع، وقال ابن عباد: العذيوط والعذوط كلاهما: الذي إذا أتى أهله أبدى))، ثم نقل الصغاني ما في كتاب العين وقال: ((وقال المفضل بن سلمة في كتاب إخراج ما في كتاب العين

(١) تهذيب اللغة ٧/٢٢٤-٢٢٥.

(٢) المحكم ٥/٢٩٣، وينظر: اللسان ٤/٢٦١(خور)، ٢٦٤(خير)، وتاج العروس ١١/٢٣٥ (خور).

(٣) ينظر : العين٤/٣٠١

/(٤) ينظر : لسان العرب ٤/٢٦٧(خير)

(٥) ٢/٦.

من الغلط: لا يقال عَذْيَطَ، ولا يشتق من العذيوط فعل مثل الزملق[1]، لأنه خلقة[2]))).

وما ذكره المفضل في اعتراضه على صاحب العين مرجوح ؛ لأن القاعدة الأصولية تقول : المثبت مقدم على النافي ، ومن سمع حجة على من لم يسمع ، وقد نقل الفعل " عذيط" عدد من أئمة للغة ، منهم : كراع النمل في كتابه "المنتخب من غريب كلام العرب"[3] ، والأزهري في "تهذيب اللغة" [4]، وابن سيده في "المحكم"[5] ، وابن القطاع في "الأفعال "[6]

قال الزبيدي في "تاج العروس : " والفعل منه ثابت ، نقله الشيخ ابن مالك وغيره من أئمة اللغة"[7].

الخلاف في اشتقاق " لبيك" :

٠وقع خلاف في اشتقاق "لبيك"، فذهب الجمهور ، ومنهم الخليل ، وسيبويه ، والمبرد ، والزجاجي ، وابن جني إلى أنه مأخوذ من قولهم: لَبَّ فلان في المكان

(١) الزملق هو الذي إذا أراد امرأة أنزل قبل أن يمسها. ينظر: تهذيب اللغة ٢٦٣/٦، وتاج العروس٤١٦/٢٥ (زملق).

(٢) العباب الزاخر ٢٨٤ (عذط).

(٣) ١٩٢/١

(٤) ٩٦/٢

(٥) ١/ ٥٤٠

(٦) ٤٣٠٩/٢

(٧) ١/ ٥٤٠

وألَبَّ بـه ، إذا أقام بـه[1]،وألب على كذا ، إذا أقام عليه ، ولم يفارقه ، فإذا قال الإنسان"لبي" ، فكأنه قال : دواما على طاعتك ، وإقامة عليها مرة بعد مرة.

وقيل:هو مأخوذ من قولهم:أُمٌّ لَبَّةٌ،أي محبة عاطفة، فيكون المعنى:إقبال إليك ومحبة لك،وهذا القول نقله المفضل – كما سيأتي – عن أبي عبيد عن الخليل. وقيل: هو مأخوذ من قولهم: داري تَلَبُّ دارك، فيكون معناه: اتجاهي إليك، وإقبالي على أمرك،وهذا الأخير نقله أيضا المفضل ، لكنه لم ينسبه لأحد. وقد ارتضى المفضل بن سلمة تلك الأقوال الثلاثة ، ونقلها في كتابه "الفاخر" دون أن يرجح أو يفضل قولا على قول ، وأرى أنه أصاب في هذا ؛ فالأقوال الثلاثة متقاربة ؛ والمعنى يحتملها جميعا ، وذلك أن الداعي وهو يوجه دعاءه للمدعو يقول : لبيك اللهم، أي : مقيم على طاعتك ، ومداوم عليا ، ومقبل بقلبي ووجهي إليك ، محبة لك وخضوعا ، قال المفضل : " قال الفراء: معنى "لبيك" : إجابة لك..". وقال الأحمر:" معناه إلباب بك، أي إقامة ولزوم لك، وهو مأخوذ من قولك: لَبَّ بالمكان وألبَّ، إذا قام به، قال الراجز:

لَبَّ بأرضٍ ما تخطَّاها الغَنَم[2]

ومنه قول طفيل الغَنَوي:

رَدَنَ حُصينًا من عدي ورهطه وتيمٌ تُلبِّي في العُرُوج وتَحْلُب[3]

(١) ينظر: الكتاب ٣٥٣/١، والفاخر ٤، والجمل المنسوب إلى الخليل ١٧٦/١، واللباب ٤٦٥/١، والمغرب في ترتيب المعرب ٢٣٩/٢.

(٢) الرجز بلا نسبة في الزاهر ٩٣/١، وتاج العروس ١٨٤/٤ (لبب).

(٣) البيت من الطويل لطفيل الغنوي في تهذيب اللغة ٢٤٢/١٥، والعباب الزاخر ٤٠/١، وتاج العروس ١٨٥/٤ (لبب).

أي: تلازمها وتقيم بها. . ." وقد حكى أبوعبيد عن الخليل أنه قال: أصلها من ألببت بالمكان، فإذا دعا الرجل صاحبه قال: لبيك، فكأنه قال: أنا مقيم عندك ثم وكد ذلك بـ"لبيك"، أي: إقامة بعد إقامة، وحكي عن الخليل أيضًا أنه قال: هو مأخوذ من قولهم: أُمٌّ لَبَّةٌ، أي محبة عاطفة، فإن كان كذلك فمعناه: إقبال إليك ومحبة لك، قال: وأنشدنا الطوسي:

وكنتم كأم لَبَّة ظَعَنَ ابنها إليها فما دَرَّتْ إليه بساعد[1]

ويقال: إنه مأخوذ من قولهم: داري تَلَبُّ دارك، فيكون المعنى: اتجاهي إليك وإقبالي على أمرك[2])).

١٠- الخلاف في وزن "المؤونة"واشتقاقها:

اختلف النحويون في المؤونة من حيث الاشتقاق، فذهب الخليل[3] وسيبويه[4] واختاره ابن دريد، وابن فارس، والرضي[5] إلى أنها "فَعُولة" مأخوذة من المؤْن، يقال: مان الرجل أهله يمونهم مَوْناً، إذا تحمل مؤونتهم وقام بكفايتهم، والأصل فيها "موونة" بلا همز، كما تقول في مقوم من القيام: قوُوم، ومن النوم: نَوُوم، ومن الصوم: صوُوم، ثم تُهمز الواو استحساناً للزوم الضمة لها، فتصير "مؤونة" على فَعُولة، قال الفارسي: ((واختلفوا في المؤونة، فذهب سيبويه إلى أنه فَعُولة، من

(١) البيت من الطويل ، ولم أعثر عليه في غير "الفاخر".

(٢) الفاخر ٤-٥.

(٣) ينظر: العين ٣٨٩/٨.

(٤) ينظر: الكتاب ٣٦٢/٤، والمسائل العضديات ٨٩، والمحتسب ٢١٤/١.

(٥) تنظر كتبهم مرتبة: جمهرة اللغة ١٧٩/٣، معجم مقاييس اللغة ٢٨٦/٥، شرح الشافية ٣٤٩/٢-٣٥٠.

مانه يمونه وأبدلت من الواو همزة لانضمام الواو، كما أنه لزمتها في نحو: أَدْؤُر[1])).

وذهب أبو عثمان المازني[2] إلى أنها "مَفْعُلَة " من الأون، وهو أحد جانبي الخُرْج، يقال: خُرْج ذو أونين، والأونان: العدلان، ويقال للأتان إذا قرب وقت ولادتها وعظم بطنها: قد أوَّنت تأوينًا ويقال للإنسان إذا أكل وشرب، وامتلأ بطنه وانتفخت خاصرتاه: أوَّن تأوينا، وعلى هذا يجب – عنده – أن تكون المؤونة مأخوذة من الأون، لأنها ثِقْلٌ على الإنسان كما أن العِدْل ثقيل على حامله، واختار هذا القول ابن السراج[3]، وقال عنه الفارسي: ((وهو مستقيم على هذا التأويل[4]))، وإذا كانت "مؤونة" مَفْعُلَة من الأون فهمزتها أصلية، وأصلها: مَأْوُنَة، كمكرمة فنقلت ضمة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها وهو الهمزة، فصارت "مؤونة" على وزن "مَفُعْلَة".

والقولان السابقان نقلهما المفضل بن سلمة عن الفراء ووافقه عليهما[5]، ونقل عنه في المسألة أيضًا قولاً ثالثًا – هو المشهور عنه –، وهو أنها "مَفْعُلَة" – كما في القول الثاني – إلا أنه يرى أنها مأخوذة من الأين وهو التعب والمشقة، قال المفضل: ((قولهم فُلانٌ عَظِيمُ المَؤونة، قال الفرّاء: المؤونة من الأيْن، وهو التعب والشدّة، فكأن المعنى أنه عظيم التعب والمشقّة في الإنفاق على من يعُول، وكان أصله مَأْيُنَة فالياء حرف إعراب والضمة حرف إعراب، فاستثقلوا إعراباً على إعراب،

(١) المسائل العضديات ٨٩.
(٢) ينظر: لسان العرب ٣٩٦/١٣-٣٩٧ (مأن)، وتاج العروس ٣٣٩/٩ (مأن).
(٣) ينظر: الأصول ٣٤٩/٣.
(٤) المسائل العضديات ٩٠.
(٥) ينظر: الفاخر ١٢٩.

فنقلوا الضمة عن الياء إلى ما قبلها وهي الهمزة، فانضمت الهمزة وبقيت الياء ساكنة فانقلبت واواً لانضمام ما قبلها كما قال أبو جُنْدُب الهُذلي:

وكُنْتُ إذا جَارِي دَعا لمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ[1]

كان الأصل: مَضْيُفَة أي أمر ينزل به من الضيافة، والياء حرف إعراب والضمة حرف إعراب فاستثقلوا ذلك، فنقلوا الضمة إلى الضاد وبقيت الياء ساكنة فانقلبت واواً للضمة التي قبلها[2])).

وعن نقل الفضل للقولين الأوليين عن الفراء أقول :إن هذا القول الأخير هو وحده المنقول عنه – فيما اطلعت عليه من مصادر في دراسة هذه المسألة –، وقد سلك الفراء في قوله الأخير هذا مذهب الأخفش في قوله في "مَفْعُلة" من العيش: مَعُوشة، قال ابن جني: ((وأجاز الفراء أن تكون مفعلة من الأين، وهو التعب، وهذا كقول أبي الحسن في معوشة، والاحتجاج عليه مثله على أبي الحسن لا فرق بينهما[3]))، وقال ابن السراج بعد أن أورد مذهب الفراء: ((وهذا على مذهب الخليل لا يجوز أن يكون مؤونة من الأين، لأنها مَفْعُلة، ولو بنى مَفْعُلة من الأين لقال: مئينة، كما قال: معيشة، وعلى مذهب الأخفش يجوز أن تكون مؤونة من الأين[4]))، لأنه يرى أن إبدال الكسرة من الضمة مقصور على الجمع دون المفرد

(١) البيت من الطويل، وهو لأبي جندب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٥٨٨/١، وتهذيب اللغة ٥٣/١٢، والمحكم ٢٣٢/٨.

(٢) الفاخر ١٢٨-١٢٩.

(٣) المنصف ٣٠١/١.

(٤) الأصول ٣٤٩/٣.

لثقل الجمع، فيقول: بِيْضٌ في جمع أبيض، وأصله: بُيْض، فأبدل من الضمة كسرة، ولو بنى "مَفْعُلَة" من العيش لقال: مَعُوْشَة، فلا يقلب الضمة كسرة[١].

١١- المزاوجة بين الألفاظ وأثرها في كسر القياس:

من سنن العرب في كلامها المزاوجة بين الألفاظ تاركين لطريق القياس، والمزاوجة قضية نحوية صرفية لغوية دلالية، وقد أطلق عليها العلماء عدة مصطلحات، منها المزاوجة والمجانسة والمناسبة و الإتباع والمحاذاة بين الألفاظ، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم وفي كلام العرب[٢]، وسأكتفي هنا بإيراد الأمثلة التي تحدث عنها المفضل بن سلمة، قال متحدثًا عن زيادة تاء التأنيث في "لاقطة" في قول العرب لكل ساقطة لاقطة: ((واللاقطة، أراد لاقطًا، أي آخذًا حاملاً، فأدخل الهاء لمكان ساقطة لإزواج الكلام[٣]))، وتحدث عن قولهم: حيَّاك الله وبيَّاك، فذكر أن الأصل أن يقول: بوَّأك، ولكنه قال: بيَّاك، لإزواج الكلام، وجعل هذا مثل جمعهم "غداة" على غدايا في قولهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، والأصل فيها أن تجمع على "غَدَوَات"، لأن القياس لايجيز تكسير "فُعْلة" على فعائل، قال: ((قولهم: حيَّاك الله وبيّاك. . . أراد: بوَّأك منزلاً، فقال بيَّاك لإزواج الكلام ليكون تابعًا لحيَّاك، كما قالوا: جاء بالغدايا والعشايا، يريدون الغَدَوات، وقالوا الغدايا للإزواج[٤])) وتحدث عن قول العرب: لادريت ولا ائتليت، فنقل رأي الفراء، في أن "ائتليت" افتعلت، من "ألوت" إذا قصرت، والمعنى عنده: لادريت ولاقصَّرت في الطلب، ليكون أشقى لك، ثم

(١) ينظر: المسائل العضديات ٩٠، والمنصف ٢٣٨/١.

(٢) ينظر: أدب الكاتب ٤١، وتهذيب اللغة ٢٩٥/١١، والصاحبي ١٧٤، والمخصص ٤٤٩/٤، واللسان ١٧٦/٣ (رشد)، ١١٦/١٥ (غدا)، والمزهر ٢٦٩/١-٢٧١.

(٣) الفاخر ١٠٩.

(٤) الفاخر ٢-٣.

نقل رأي الأصمعي في أنها افتعلت من ألوت الشي إذا استطعته، والمعنى: لادريت ولا استطعت أن تدري، ثم نقل رأيًا ثالثًا لم يعزه لأحد فقال: ((ويقال: معناه: لادريت ولاتلوت، أي: لا أحسنت أن تتلو، فقلبوا الواو ياءً للإزدواج[1])).

ويجب أن يعلم أن العرب تعيد تلك الألفاظ إلى أصولها عند الانفراد، لزوال علة التغيير، قال ابن السّكّيت في قولهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا: ((يقال: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، أرادُوا جمع الغداةِ، فأتبعُوها العَشايا، لإزدواج الكلام، وإذا أفرِدَ لم يجزْ ولكن يقالُ: غَداةٌ وغدَاواتُ [2])).

١٢- إبدال الألف أو الياء من الحروف المعتلة أو الصحيحة:

تحدث المفضل بن سلمة عن إبدال بعض الحروف، فذكر أن العرب إذا استثقلوا شيئًا قلبوه ألفًا أو ياءً طلبًا للخفة في اللفظ، فمما أبدل ألفًا للاستثقال-مما ذكره المفضل – قولهم "سايةَ" بمعنى طريق، والألف فيها منقلبة عن "ياء"، والأصل: سَيَّة، وقولهم "دَاويَّة"، بمعنى المفازة، والأصل: دَوَّية، ومما أبدل ياءً للعلة نفسها قولهم "دينار"، والأصل: دِنَّار، فقلبت إحدى النونين، وقولهم "لبَّيك"، والأصل: لبَّبك، فقلبت الباء الثالثة ياء، وقولهم "تظنيت"، والأصل: تظنَّنت، فقلبت النون الثالثة ياء، وقولهم "تقضَّي"، والأصل: تقضَّض، فقلبت الضاد الثالثة ياء، قال في الفاخر متحدثًا عن "سايةَ": ((وهي فَعْلَة من سوَّيتَ، كان الأصل فيها سَوْيَة، فلما اجتمع واو وياء وسبق الأول منهما بالسكون صارتا ياء شديدة فكانت سيَّة، فاستثقلوا ياءين فحولوا إحداهما ألفًا لفتحة ما قبلها كما قالوا داويَّة، وأصلها دوّية، وكذلك كلما استثقلوا شيئًا قلبوا بعضه ألفًا أو ياءً كما قالوا دينار وأصله دِنَّار، فاستثقلوا النونين فقلبوا إحداهما ياء لكثرة ما قبلها، ألا ترى أنك إذا جمعت قلت دنانير فعادت النونان في

(١) الفاخر ٣٨.

(٢) تهذيب اللغة ٨/١٥٥.

الجمع وذهبت الياء[1]))، وقال متحدثًا عن "لبيك": ((قال الأحمر: وكان أصله لبَّبك فاستثقلوا ثلاث باءات فقلبوا إحداهنّ ياء، كما قالوا: تَظَنَّيْتُ، يريدون تَظَنَّنْتُ، فلما كثرت النونات قلبوا إحداهنّ باء، وكذلك دينار أصله دِنَّار فاستثقلوا نونين فقلبوا الأولى ياء، فإذا جمعوا قالوا: دنانير فرجعت النون لما فرَّقوا بينهما، ومنه قول العَجَّاج:

تَقَضَّي البازِي إذا البازِي كَسَر[2]

أراد تَقَضُّضَ البازِي قاستثقل الضادات فقلب إحداهنّ ياء[3])).

ولي بعد هذين النصين وقفات:

الأولى: قوله إن الألف في"ساية" منقلبة عن "ياء"، والأصل"سَيَّة"، هذا رأي الجمهور[4]وفي المسألة قول آخر وهو أن الساية الفعلة من السوء، وأصلها "سأية" فترك همزها[5]، قال الأنباري: ((وهذا ضعيف من جهة النحو، لأن "فَعْلَة" من السوء "سَوْءَة" وليست "سأية"[6])).

الثانية: قوله إن الأصل في "لبَّيك": لبَّبك، فقلبت الباء الثالثة ياء، مبني على رأي الفراء ومن وافقه في أن"لبَّيك"مأخوذ من قولهم: لَبَّ فلان في المكان وألَبَّ به،

(١) الفاخر ١٠٦.

(٢) الرجز للعجاج في الزاهر ٣٦٦/١، والجمل المنسوب للخليل ٢٩٨، والمخصص ١٩٣/٤.

(٣) الفاخر ٤-٥.

(٤) ينظر: الزاهر ٢٢٢/١، والأصول ٣٤٦/٣، وسر الصناعة ٦٧٠/٢، والمحكم ٥٣٨/٨، والمحيط في اللغة ٤١٥/٨، وتاج العروس ٢٧٧/١(سوأ).

(٥) ينظر: الفاخر ١٠٦، والزاهر ٢٢٢/١، والمحيط في اللغة ٤١٥/٨.

(٦) الزاهر ٢٢٢/١.

إذا أقام به[١]، وعلى رأي من يرى أن "لبَّيك" مأخوذ من قولهم: أُمٌّ لَبَّةٌ، أي محبة عاطفة، أو من قولهم: داري تَلَبُّ دارك، فيكون معناه: اتجاهي إليك، وإقبالي على أمرك، فلا إبدال فيها[٢].

الثالثة: قوله إن الأصل في"دَاويَّة": دَوَّية، فقلبت إحدى الواوين ألفًا طلبًا للتخفيف، هذا قول من أقوال ثلاثة قيلت فيها، وقيل الألف زائدة، ووزنها "فاعلية"، واستبعد العكبري هذا، بحجة أن هذا البناء من بناء الأعجمي[٣]، وقيل إن "دَاويَّة"و"دَوَّية" لغتان[٤]، وذهب الفارسي وابن جني إلى أنه يجوز أن يكون بنى من من "الدَّو" فاعلة، فصارت "داوية" بوزن "ڤاوية"، ثم إنه ألحق الكلمة ياءي النسب وحذف اللام، كما تقول في الإضافة إلى ناجية: ناجيَّ، وإلى قاضية: قاضيَّ[٥].

أما ما ذكره المفضل من بقية الألفاظ فلم أجد فيها ما يخالف ما ذكره[٦].

١٣- وجه تسمية كتاب الخليل "العين ":

رتب الخليل بن أحمد الحروف العربية في - كتابه العين – حسب مخارجها من أقصى الحلق إلى الشفتين، وجعل حرف العين أقصاها مخرجًا، وبهذا الحرف

(١) ينظر: الكتاب ٣٥٣/١، والفاخر ٤، والزاهر ٩٣/١، والجمل المنسوب إلى الخليل ١٧٦/١، وتهذيب اللغة ٤٣/٢ واللباب ٤٦٥/١، والمغرب في ترتيب المعرب ٢٣٩/٢.

(٢) ينظر: الفاخر ٤-٥.

(٣) ينظر: اللباب ٣٠٦/٢.

(٤) ينظر: اللباب ٣٠٦/٢.

(٥) ينظر: سر الصناعة ٦٧٠/٢.

(٦) ينظر: الكتاب ٣٦٩/٤، والزاهر ٢١٢/١، والأصول ٤٥٩/٣، والجمل المنسوب للخليل ٢٩٩، والمنصف ٣٢/٢، وشرح الشافية ٨٥/٣، ٢١٠.

سمَّى معجمه، قال الخليل: ((بَدَأْنَا في مُؤلَّفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف ونضُمُّ إليه ما بعده حتى نَسْتَوْعِبَ كلام العرب الواضحَ والغريب[١])).

وقد استدرك عليه المفضل بن سلمة جعله حرف العين أقصى الحروف مخرجًا، ورأى – مستدلاً برأي سيبويه– أن الهمزة هي أقصى الحروف، قال السيوطي في المزهر: ((قال أبو طالب المفضَّل بن سَلَمة الكوفي: ذكر صاحبُ العين أنه بدأ كتابَه بحرف العين، لأنها أَقْصى الحروف مَخْرجًا، قال: والذي ذكره سيبَويْه[٢]أن الهمزةَ أَقْصى الحروف مخرجًا، قال: ولو قال بدأتُ بالعين لأنها أكثرُ في الكلام وأشدُّ اختلاطاً بالحروف لكان أولى[٣])).

وقد دافع بعض النحويين عن الخليل فذكروا أنه لم يبدأ بالهمزة لما يلحقها من التغيير والنقص والحذف، ونقل ابن كيسان رواية عن الخليل تذكر هذا وتنص عليه، قال ابن كَيْسان: ((سمعتُ مَنْ يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبْدَأْ بالهمزة لأنها يلحقها النقصُ والتغييرُ والحذفُ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلاّ زائدة أو مُبْدَلَةً ولابالهاء لأنها مهموسة خفيَّة لا صوتَ لها فنزلتُ إلى الحّيز الثاني وفيه العين والحاء فوجَدْت العين أنْصَعَ الحرفين فابتدأت به ليكون أحسنَ في التأليف[٤])).

(١) العين ٦٠/١.

(٢) قال سيبويه: ((الهمزة أقصى الحروف وأشدها سفولاً وكذلك الهاء لأنه ليس في الأحرف أقرب إلى الهمزة منها وإنما الألف بينهما)). الكتاب ١٠٢/٤.

(٣) المزهر في علوم اللغة ٩٠/١، وينظر كذلك: فلك القاموس للحسيني ٢٦.

(٤) المزهر ٩٠/١.

المبحث الرابع

منهجه في الصرف

لم يصلنا عن أبي طالب كتاب خالص في في الصرف يمكن للباحث من خلاله أن يقف بدقة على منهجه الصرفي، وإنما الذي وصلنا من كتبه "الفاخر"، و"مختصر المذكر والمؤنث"، و"ماتلحن فيه العامة"، و"العود والملاهي" وهذه الكتب كلها تعتني بالجوانب اللغوية، والسماع والرواية، وفيها – خاصة الفاخر ومختصر المذكر والمؤنث– بثَّ المفضل بعض آرائه واختياراته وتوجيهاته الصرفية، هذا إلى جانب آرائه الصرفية الأخرى التي نقلتها لنا بعض كتب اللغة والنحو والتفسير، وقد تبين لي من خلال ما جمعته ودرسته من آراء المفضل أنه اعتمد في تقرير كثير من آرائه وتوجيهاته الصرفية على السماع، والقياس، والتعليل، وسأتحدث عن كل واحد من هذه الثلاثة بالتفصيل.

أولاً: السماع: وهو الأصل الأول من أصول النحو العربي، ويشمل القرآن الكريم بقراءاته، والثابت من لفظ النبي ﷺ، وكلام العرب شعراً ونثرا، وقد اعتنى المفضل بن سلمة ببعض هذه المصادر السماعية، من ذلك استدلاله بقول الله جل وعلا: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ[1]﴾ على أن "الأصفاد" جمع صفد[2]، واستشهاده بقول العرب: ماءٌ دافقٌ، وسِرٌّ كاتمٌ، وأمرٌ عارفٌ[3]، على مجيء فاعل بمعنى مفعول وبقول العرب: أميرنا امرأة، ووصي بني فلان امرأة، ووكيل فلان ورسوله امرأة[4]، على أن ما كان خاصًّا بالمذكر أو المؤنث لايلزم فيه المطابقة في التذكير والتأنيث.

(١) من الآية ٤٩ من سورة إبراهيم.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٠٥/١٢.
(٣) ينظر: ص ١٨٨٣ من هذا البحث.
(٤) ينظر: ص ١٨٩٠ من هذا البحث.

ومما يدل على سعة علم المفضل بكلام العرب استقراؤه لكلامهم وحصره بعض الأبنية، قال الجواليقي: ((وفعلان من أبنية المبالغة ولم يجئ من"فَعِلَ"فَعْلان وفعيل وفاعل إلا قولهم: ندم فهو ندمان ونديم ونادم، وسلم فهو سالم وسليم وسلمان، ورحم فهو راحم ورحيم ورحمان، ذكره المفضل بن سلمة[١]))، وضعف المفضل قول سيبويه في أن "عذير" مصدر بمعنى العُذر، وذهب إلى أنه بمعنى "عاذر"، كعليم وعالم، وقدير وقادر، وشهيد وشاهد، قال: لأن المصادر على فعيل لا تأتي إلا في الأصوات، نحو: الصهيل، والصليل، والزئير[٢]، أما الشعر فقد أكثر منه أبوطالب، وفيما يلي أسوق أمثلة لبعض المسائل التصريفية التي استشهد لها أبوطالب بالشعر: استشهد على مسألة مجيء فاعل بمعنى مفعول بقول الشاعر:

خَلَتِ الديارُ فما بِها ممَّن عَهِدْت بهنَّ صافِر

معناه ما في الدار أحدٌ يُصْفَر به[٣]، واستشهد على قول من يرى أن "لبيك" مشتقة من قولهم: لَبَّ فلان في المكان وألَبَّ به، بقول طفيل الغَنَوي:

رَدَنَ حُصينًا من عدي ورهطه وتيمٌ تُلبِّي في العُرُوج وتَحْلُب

أي: تلازمها وتقيم بها، وبقول الراجز:

لَبَّ بأرضٍ ما تخطَّاها الغَنَم[٤]

واستشهد للقول المحكي عن الخليل في اشتقاق "لبيك" وأنها من قولهم: أُمٌّ لَبَّةٌ، أي محبة عاطفة بقول الشاعر:

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقي ٧.
(٢) ينظر: ص١٨٨٢ من هذا البحث.
(٣) ينظر: ص ١٨٨٣من هذا البحث.
(٤) ينظر: ص ١٨٩٧ من هذا البحث.

وكنتم كأم لَبَّة ظَعَنَ ابنها إليها فما دَرَّتْ إليه بساعد[1]

واستشهد على أن ما كان خاصًّا بالمذكر أو المؤنث لايلزم فيه المطابقة في التذكير والتأنيث بقول الشاعر:

فليت أميرَنا وعُزلتَ عنَّا مُخَضَّبة أناملها كَعَابُ

فقال: أميرنا، بالتذكير مع أن الخبر الذي جرى عليه هذا الوصف مؤنث[2].

واستشهد على جواز مجيء "طالق" و"حائض" بالهاء في ضرورة الشعر بقول الأعشى:

أيا جارتي بِينِي فإنك طالقة كذاك أمورُ الناس غادٍ

وبقول الآخر:

رأيتُ خُتُون العام والعام قبله كحائضةٍ يُزنى بها غير طاهر[4]

واستشهد على قول من يرى أن "مؤونة" مَفْعُلة من الأون، وهو الدعة والسكون بقول الراجز:

غَيَّرَ يا بنت الحُليس لوني مَرُّ الليالي واختلاف الجَونِ

(١) ينظر: ص ١٨٩٨ من هذا البحث.

(٢) ينظر: ص١٨٩١ من هذا البحث.

(٣) ينظر: مختصر المذكر والمؤنث٣٢١، والبيت من الطويل، وهو للأعشى في ديوانه ٣١٣، والإنصاف ٢/٧٦٠.

(٤) ينظر: مختصر المذكر والمؤنث ٣٢١، والبيت من الطويل، وهو بلا نسبة في شرح المفصل ٥/١٠٠، ولسان العرب ٧/١٤٢(حيض)، ١٣/١٣٨(ختن).

وسَفرٌ كان قليل الأونِ[١]

ثانياً: القياس: وهو في اللغة: التقدير، ومنه: قست الثوب بالذراع إذا قدرته به[٢]، وفي الاصطلاح حمل فرع على أصل بعلة تقتضي إجراء حكم الأصل على الفرع[٣]، وعرفه أبو البركات ابن الأنباري في "الإغراب" بأنه حمل غير المنقول على المنقول إذا كان بمعناه[٤]، والقياس من أصول النحو المعتبرة، بل هو الأصل الثاني من أصول النحو العربي، وهو – كما يقول السيوطي – معظم أدلة النحو، والمعول في غالب مسائله عليه[٥]، وقد اهتم المفضل بالقياس ولا غرابة في ذلك فشيخ المدرسة التي ينتمي إليها وهو الكسائي اشتهر عنه قوله:

إنما النحو قياس يتبعْ[٦]

والقياس عند المفضل – من خلال ما ظهر لي – هو القياس الخالي من المنطق وهو القاعدة المطردة التي توصل إليها النحوي بعد استقراء كلام العرب، يدل على ذلك قوله: ((واعلم أن المؤنث الذي لاتدخله الهاء إذا صغر كان بالهاء، نحو: نعل تصغرها نُعيلة، ونار ونويرة، والقياس في ذلك مستمر[٧]))، وقد تكرر هذا

(١) ينظر: الفاخر ١٢٩، والرجز بلا نسبة في الزاهر ٢٢٤/١، وتهذيب اللغة ٣٩١/١٥.

(٢) ينظر: اللسان ١٨٧/٦ (قيس)، وروضة الناظر ٢٥٥/٢.

(٣) ينظر: لمع الأدلة ٤٢، وروضة الناظر ٢٥٦/٢.

(٤) ينظر: الإغراب في جدل الإعراب ٤٥.

(٥) ينظر: الاقتراح ١٧٥.

(٦) هذا صدر بيت من الرمل قاله الكسائي في مطلع قصيدة له في وصف النحو، وعجزه: وبه في كل علم يُنتفعْ

ينظر: تنبيه الألباب على فضائل الإعراب ٩٨ –١٠٠، وإنباه الرواة ٢٦٧/٢، والبغية ١٦٤/٢.

(٧) مختصر المذكر والمؤنث ٣١٩.

هذا اللفظ ونحوه في كثير من المسائل التي يقررها في كتابه "مختصر المذكر والمؤنث"، مثل قوله: فقس على هذا ما ورد عليك[١]، وقوله: والقياس بهذا لاينكسر[٢]، وقوله: قد فرغنا مما يدرك علمه بالقياس، فالآن نأتي بما يُعلم بالرواية[٣].

ولاشك أن القياس عنده يجب أن يكون على ما سُمع، ولا يجوز القياس على ما لم تنطق به العرب، قال: ((العرب تدخل الهاء في وصف المذكر على وجهين، أحدهما: المدح، والآخر الذم، فيوجهون المدح إلى الداهية، والذم إلى البهيمة، فتدخل الهاء على مذهب هذين الاسمين في التأنيث، فقس عليه إن شاء الله[٤])).

ثالثاً: التعليل: اهتم المفضل بن سلمة بالتعليلات الصرفية، ومن ذلك تعليله لتضعيف رأي سيبويه في أن "عذير" مصدر بمعنى العُذر بأن المصادر في كلام العرب لا تأتي على فعيل إلا في الأصوات[٥]، وتعليله لقولهم: أميرنا امرأة، بالتذكير، بالتذكير، بقوله: وإنما حملهم على ذلك أن هذا الوصف إنما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر من موضعيه[٦]، وتعليله لقولهم: حائض وطالق بالتذكير مع أن الموصوف مؤنث بأن هذا وصف لا حظ فيه للمذكر، وإنما هو خاص بالمؤنث، فاستغنوا عن إدخال الهاء، لأنها إنما تدخل في

(١) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨.
(٢) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٣.
(٣) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٨.
(٤) ينظر: ص ١٨٩٠ من هذا البحث.
(٥) ينظر: ص ١٨٨١ من هذا البحث.
(٦) ينظر: ص١٨٩٨ من هذا البحث.

فعل مشترك بين المذكر والمؤنث للفرق[١]، وتعليله قولهم: امرأة مصبية، بالهاء مع أنه وصف خاص بالمؤنث بأنهم كرهوا أن يُسقطوا الهاء فتسقط الياء، فيجتمع سقوط شيئين من الحرف[٢]، وتعليله لتصغيرهم "الحرب" و"القوس" على: حُريبًا، وقويسًا، بغير هاء، قال: لأنهما في الأصل مصدران[٣]، وتعليله لمجيء التفضيل من المتباينين في الصفة في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا[٤]﴾ بقوله: إنما جاز ذلك لأنه موضع، فيقال: هذا الموضع خيرٌ من ذلك الموضع، وإذا كانت نَعْتاً لم يستقم أن يكون نعتٌ واحدٌ لاثنين مختلفين.

(١) ينظر: ص ١٨٩٠لا من هذا البحث.
(٢) مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٢.
(٣) ينظر: مختصر المذكر والمؤنث ٣٢٠.
(٤) الآية ٢٤ من سورة الفرقان.

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة لحياة المفضل بن سلمة وآرائه واختياراته الصرفية، لعل من المفيد تلخيص أبرز ما جاء فيها في النقاط الآتية:

١-بعض المصادر تجعل نسب المفضل بن سلمة ينتهي إلى ضبة، فتقول في ختام اسمه: الضبي، وقد شكك في هذا بعض الباحثين وأيدهم الباحث مدعمًا قوله بالأدلة.

٢-لم يقتصر نبوغ المفضل على فن واحد من فنون العلم، فالرجل ألف في علوم القرآن، وألف في اللغة والنحو، وألف في القبائل والأنساب، وجمع وروى كثيرًا من الشعر، ونقد بعض الشعراء.

٣- خلف المفضل وراءه ثروة علمية لغوية ضخمة، وصلت فيما ذكره المترجمون له إلى اثنين وعشرين كتابًا، ولم يصلنا من تلك الكتب مع الأسف إلا أربعة، هي: الفاخر، والمذكر والمؤنث، وما تلحن فيه العامة، والعود والملاهي.

٤-للمفضل جملة من الآراء والتوجيهات الصرفية التي تفرد بها ولم يسبق إليها، وهي -بغض النظر عن قوتها وضعفها -:

- تضعيفه رأي سيبويه القائل بأن "عذير" مصدر بمعنى العُذر، وذهابه إلى أنه بمعنى "عاذر"، كعليم وعالم، وقدير وقادر، وشهيد وشاهد، والمعنى: هات عاذرك، أو أحضر عاذرك.

-تعليله لمجيء التفضيل من المتباينين في الصفة في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا[1]﴾ بقوله: إنما جاز ذلك لأنه موضع،

(١) الآية ٢٤ من سورة الفرقان.

فيقال: هذا الموضع خيرٌ من ذلك الموضع، وإذا كانت نَعْتاً لم يستقم أن يكون نعتٌ واحدٌ لاثنين مختلفين.

٥-اعتمد المفضل في تقرير كثير من آرائه وتوجيهاته النحوية والصرفية على السماع، والقياس، والتعليل، وكان اعتناؤه بالسماع أكثر، خاصة كلام العرب الفصحاء الموثوق بعربيتهم فقد اعتمد عليه أبوطالب اعتمادًا كبيرًا وجعله من أهم مصادر الاستشهاد عنده، على أن استشهاده بالشعر كان أكثر من استشهاده بالنثر.

هذه جملة من أبرز ما جاء في البحث، وهناك أشياء بارزة أخرى تراها منثورة فيه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- أدب الكاتب. ابن قتيبة الدينوري: كتب هوامشه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط (١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب. أبو حيان الأندلسي: تحقيق د. رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (١)١٤١٨هـ.
- أسرار العربية. أبوالبركات الأنباري: تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط (١) ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الأصول في النحو. أبوبكر محمد بن سهل بن السراج: تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط (٣) ١٤٠٨هـ
- إعراب القرآن. أبوجعفر النحاس: تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط (٣) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- الأعلام. خيرالدين الزركلي: دار العلم للملايين (بيروت – لبنان) ط (٨) ١٩٨٩م.
- الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني: تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط (١).
- الإغراب في جدل الإعراب. أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري: تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- الاقتراح (الإصباح في شرح الاقتراح) جلال الدين السيوطي: تحقيق د. محمود فجال، دار القلم (دمشق)، ط (١) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات. أبو البقاء العكبري: تحقيق إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية- لاهور.
- إنباه الرواة على أنباه الرواة. أبوالحسن القفطي: تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط (١).
- الأنساب. عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان.
- الإنصاف في مسائل الخلاف. أبوالبركات الأنباري: تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي.

– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنصاري: تحقيق محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ.

– إيضاح شواهد الإيضاح. الحسن بن عبدالله القيسي: تحقيق د. محمد بن حمود الدعجاني، دارالغرب الإسلامي، ط (١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

– إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. اسماعيل باشا، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

– البحر المحيط. أبوحيان الأندلسي: تحقيق عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط (١) ١٤١٣هـ.

– البحر المحيط. أبوحيان الأندلسي: تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ط (١) ١٤٢٠هـ.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية)١٤١٩هـ.

– تاج العروس من جواهر القاموس. محب الدين محمد مرتضى الزبيدي: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت.

– تاريخ الإسلام. الحافظ محمد بن أحمد الذهبي: دار الكتاب العربي، ط (١) ١٤١١هـ.

– تاريخ بغداد. الحافظ أبوبكر البغدادي: المكتبة السلفية (المدينة المنورة). بـ_ دار الكتب العلمية (بيروت).

– التبيان في إعراب القرآن. أبو البقاء العكبري: وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية(بيروت)، ط(١).

– تحصيل عين الذهب. الأعلم الشنتمري: تحقيق د. زهير عبدالمحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، ط(١).

– التصريح على التوضيح. خالد الأزهري: تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

– تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى، دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). محمد بن أحمد القرطبي: تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط(١).

- تفسير النيسابوري (الكشف والبيان عن تفسير القرآن). أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

- تنبيه الألباب على فضائل الإعراب. أبو بكر محمد بن عبدالملك الشنتريني: تحقيق د. معيض العوفي، دار المدني (جدة)، ط (١) ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

- التنبيه والإيضاح عما وقع في الصاح. أبو محمد ابن بري، تحقيق مصطفى حجازي، الهيئة المصرية للكتاب، ط (١) ١٩٨٠م.

- تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تحقيق عبدالسلام هارون، الدار المصرية، مطابع سجل العرب.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. المرادي: تحقيق د. عبدالرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ٢.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبدالقادر البغدادي: تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (٤).

- الخصائص. أبوالفتح عثمان بن جني: تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

- درة الغواص في أوهام الخواص. القاسم بن علي الحريري: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط (٧) ١٤٠٣هـ.

- الزاهر في معاني كلمات الناس. أبو بكر الأنباري: تحقيق د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- سرصناعة الإعراب. أبوالفتح ابن جني: تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط (٢) ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

- سير أعلام النبلاء. الإمام الذهبي: أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنووط، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط (٤) ١٤٠٦هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ابن العماد الحنبلي: دار الكتب العلمية (بيروت).

– شرح أبيات سيبويه. يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي: تحقيق د. محمد الريح هاشم، دار الجيل (بيروت)، ط (١) ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

– شرح أشعار الهذليين. أبو سعيد السكري: أ– تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة.

– شرح ألفية ابن مالك. بدرالدين ابن مالك المشهور بابن الناظم: تحقيق د. عبدالحميد السيد، دار الجيل (بيروت).

– شرح التسهيل. محمد بن عبدالله بن مالك: تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط (١).

– شرح المقرب المسمى التعليقة. بهاء الدين بن النحاس: تحقيق خيري عبدالراضي عبداللطيف، دار الزمان المدينة المنورة، ط (١) ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

– شرح الرضي لكافية ابن الحاجب. رضي الدين محمدبن الحسن الاستراباذي: تحقيق د. حسن بن محمد الحفظي، ود. يحيى بشير المصري، منشورات جامعة الإمام، ط (١).

– شرح شافية ابن الحاجب. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: تحقيق محمدنور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

– شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ. محمد بن عبدالله بن مالك: تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني بغداد ١٣٩٧هـ.

– شرح الكافية الشافية. محمد بن عبدالله بن مالك: تحقيق د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون، ط (١) ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.

– شرح كتاب سيبويه. أبوسعيد السيرافي: مخطوط مصور عن نسخة دار الكتب المصرية برقم ١٣٧نحو.

– شرح المفصل. ابن يعيش: عالم الكتب، بيروت.

– شرح المقدمة الجزولية الكبير. أبوعلي الشلوبين: تحقيق د. تركي بن سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، ط (٢) ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

– الصاحبي في فقه اللغة العربية. أحمد بن فارس: علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية(بيروت) ط(١)، ١٤١٨هـ.

– الصحاح. أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري: دار إحياء التراث العربي (لبنان)، ط (١) ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

– طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة. أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ هـ ط (١).

– طبقات النحويين واللغويين. أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي: تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط (٢).

– العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت)، ط (١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

– الفاخر. أبو طالب المفضل بن سلمة، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

– فلك القاموس. عبد القادر الحسيني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الجيل، بيروت١٤١٤، هـ ١٩٩٤م.

– فهرست مارواه عن شيوخه. أبوبكر محمد بن خير الإشبيلي: منشورات المكتب التجاري (بيروت)، مكتبة المثنى (بغداد)، ط(٣) ١٣٨٢هـ.

– الفهرست. محمد بن إسحاق بن النديم: اعتنى بها وعلق عليها إبراهيم رمضان، دار المعرفة (بيروت)، ط (٢) ١٤١٧هـ.

– القرارات النحوية والتصريفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. د. خالد بن سعود العصيمي، دار التدمرية.

– الكتاب. عمروبن عثمان بن قنبر " سيبويه ": تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (٣) ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة: دار العلوم الحديثة (بيروت).

– الكليات. أبو البقاء الكفوي: تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م.

– اللباب في علل البناء والإعراب. أبوالبقاء العكبري: تحقيق غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت)ط (١).

– لسان العرب. ابن منظور: دار صادر (بيروت).

- لمع الأدلة في أصول النحو. أبوالبركات الأنباري: تحقيق د. عطية عامر.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. أبوالفتح ابن جني: تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية(القاهرة) ١٣٨٦هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده: تحقيق مصطفى السقا و د. حسين نصار، وآخرون، دار الأندلس للنشر والتوزيع، جدة.
- مختصر المذكر والمؤنث. أبو طالب المفضل بن سلمة، تحقيق د. رمضان عبدالتواب، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد ١٧، الجزء ٢.
- المخصص. أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده: تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، (بيروت).
- مراتب النحويين. أبوالطيب عبدالواحد بن علي اللغوي: تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار الجيل (بيروت).
- المذكر والمؤنث. يحيى بن زياد الفراء، تحقيق د. رمضان عبدالتواب، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- المسائل العضديات. أبوعلي الفارسي: تحقيق د. علي جابر المنصوري، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط(١) ١٤٠٦هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين ابن عقيل: تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- معاني القرآن. أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء: تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دار السرور
- معجم الأدباء. ياقوت الحموي: تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٩٣م.
- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- المغرب في ترتيب المعرب. أبو الفتح المطرزي: تحقيق محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط(١) ١٩٧٩م.

- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية. أبو إسحاق الشاطبي: تحقيق مجموعة من الأساتذة، منشورات جامعة أم القرى، ط (١) ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

- المقتضب. أبوالعباس المبرد: تحقيق د. محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي في مصر ١٤١٥هـ.

- المنصف. أبوالفتح ابن جني: تحقيق إبراهيم مصطفى و عبدالله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء. أبوالبركات الأنباري: تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار (الأردن)، ط (٣) ١٤٠٥هـ.

- النكت في تفسير كتاب سيبويه. الأعلم الشنتمري: تحقيق رشيد بلحبيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي: مكتبة المثنى (بغداد).

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي: تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة.

- الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي: دار النشر فرانز شتايز، جمعية المستشرقين الألمانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن خلكان: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر (بيروت).